أولادنا

توم سُوير

بقلم : حلمى مراد

عن : مارك توين



دار المعارف

أولادنا

٢٧

توم سوير

بقلم : حلمى مراد

عن : مارك توين



الطبعة الرابعة

دار المعارف

قام بتلخيص هذه الرواية عن النص المطول

الدكتور وليم الميرى

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

توم سوير

للكاتب الأمريكى الكبير « مارك توين »

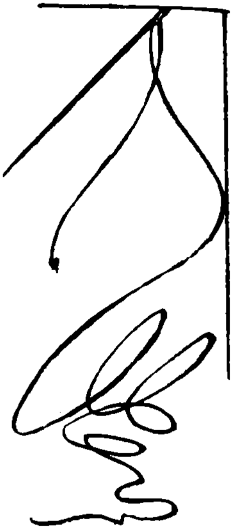
هذه القصة من أشهر القصص فى الأدب الأمريكى . ويندر أن تجد أمريكياً أو قارئاً للإنجليزية لم يقرأ فى صباه قصة « توم سوير » . وقد ترجمت هذه القصة إلى جميع اللغات العالمية ، فقرأها الفتيات والفتيان فى جميع البلاد .

وسبب شهرة هذه القصة أن مؤلفها مارك توين قد سجل فيها ذكرياته عن أيام صباه العابثة ، فى قرية تقع على شاطئ نهر «المسيسبى» . فالمغامرات الممتعة التى أقدم عليها الولد العابث الجرىء « توم سوير » قد حدثت بالفعل للمؤلف « مارك توين » فى صباه !

و « مارك توين» اسم مستعار لأشهر كتاب أمريكا فى القرن الماضى . . أما اسمه الحقيقى فهو « صمويل لانجهورن كليمنز » . وقد ولد فى ولاية (فلوريدا) الأمريكية عام ١٨٣٥ . وعمل فى صباه بائع جرائد ، وعامل مطبعة ، ثم أصبح مرشداً للقوارب النهرية فى (المسيسبى) . وبعد عامين من العمل فى النهر ، بدأ يكتب قصصاً فكاهية أذاعت اسمه . فاحترف

الكتابة ، وقضى وقته فى الرحلات والسفر ، وأشهر كتبه التى خلدت اسمه هى : « مغامرات توم سوير » ، و « مغامرات هكلبرى فين » ، و « الأمير والفقير » ، و « الحياة على نهر المسيسبى » ، و « يوميات آدم وحواء » .
وقد توفى (مارك توين) عام ١٩١٠ .





١

— « توم » ! « توم » ! . . . تعال يا « توم » ! . . . عجبًا ! . . أين ذهب هذا الولد ؟ . . . يا ولد يا « توم » !

وأرْخَت السيدةُ العجوز نظارتها . ونظرتْ من فوقها ، وأجالت عينيها فى جوانب الغرفة . ثم أعادت وضْع النظارة . ونظرت من خِلال زجاجها ، وبَدَت عليها الحيرةُ لحظة . ثم قالت بصوت ليس بالحاد . ولكنه عالٍ يصل إلى سمع

قِطَع الأثاث الجامدة :

— حسنًا ، آه لو وضعتُ يدى عليك ، فسوف . . .

ولم يظهر « توم » ، فرفعتْ صوتها أكثر وصاحت :

— تو — و — م . . . توم !

وأحسَّت بحركة خافِتة من خلفها ، فتلفّتت فى الوقت المناسب ، وأمسكت ولداً صغيراً من كَتِفِه ، وقالت :

— آه ، كان يجب أن أفكّر فى البحث عنك وراء هذا «الدولاب»! ماذا كنتَ تفعل هناك ؟

— لا شىء يا خالتى !

— لا شىء ؟ انظر إلى يدَيْك ، بل انظر إلى فمك ، لا تزال آثارُ « المربَّى » عالقةً به ، قلت لك أربعين مرة لا تلمس المربَّى ، سوف أجلدك بالعصا !

وارتفعت العصا فى الهواء ، وأحسّ « توم » بوقعها قبل أن تصل إليه ، فصاح فجأة :

— انظرى خلفك يا خالتى !

واستدارت الخالة بسرعة . وفى هذه اللحظة انطلق الصبىّ بأقصَى سرعته ، وقفز من سُور الحديقة ، واختفى وراءه ! . . . فانفجرت الخالة « بولى » ضاحكة ، وهى تقول لنفسها :

— يا له من عفريت ! إن حِيَلَه كثيرة ، وهو يعرف كيف

يضحك عليّ ، ولا أستطيع أن أناله بعصاى ، ولكنه ابن أختى المتوفاة ، ولا يطاوعنى قلبى على ضربه بأىّ حال . إنه يلعب الآن « الهوكى » . وسأعاقبه بالعمل فى المنزل غداً . فى حين يتمتع غيره من الأولاد بيوم الإجازة . إنه يكره العمل أكثر من كرهه أىّ شىء آخر . ولكن يجب علىّ أن أؤدى واجبى نحوه وأحسن تربيته !

وكان « توم » فى تلك الأثناء يلعب الهوكى فعلا . ثم سبح بعض الوقت فى البحيرة المجاورة . وعاد فى الوقت المناسب لتناول العشاء . وخلال العشاء حاولت الخالة « بولى » أن تحتال عليه فى الحديث . لتعرف منه هل نزل إلى البحيرة أم لا ؟ . . . فقالت شبه متسائلة :

— كان الجوّ حارا اليوم يا « توم » !

— نعم يا خالتى .

— حارّ جدا ، أليس كذلك ؟

— هذا صحيح .

— ألم تسبح فى البحيرة يا « توم » ؟

— لا ، لم يكن لدىّ رغبة فى السباحة اليوم . . .

ومدّت السيدة العجوز يدها ، ولمست قميص « توم » . كان جافاً . وكانت ملامح وجهها لا تنبئ بشىء ، ولكنّ « توم » أدرك نواياها . فقال بسرعة :

– بعضُنا غطس برأسه فقط فى الماء ، حتى إن شعرى لا يزال مبتلا. انظرى .

وهنا خطرت للخالة « بولى » فكرة بارعة ، فقالت :

– أظنّ أنه ليس من الضرورى أن تفك « ياقة » قميصك التى خطتها لك لتغطس رأسك. هل فككتها يا « توم » ؟.. اخلع «جاكتتك» لأرى « الياقة » !

وأطاع « توم » .

وكانت الياقة مخيطة بعناية !

فقالت الخالة :

– هه ! حسنًا ، نجوت منى ، وإن كنتُ متأكدة من أنك لعبت الهوكى ، وسبحت فى البحيرة !

وهنا تدخّل « سدى » – شقيق « توم » من والدته – فقال :

– أذكر أنك خِطْت له ياقة قميصه بخيط أبيض ، وهذا خيط أسود !

فصاحت الخالة :

– فعلا ، لقد خِطْتُها لك بالخيط الأبيض يا « توم » !

ولكن « توم » لم ينتظر الباقى ، فانطلق خارجًا قبل أن تمتدّ إليه عصا الخالة ، وهو يتوعّد أخاه ويقول له :

– سأضربك علقة على هذا يا « سدى » !

وبعد أن أصبح « توم » فى الشارع ، وشعر أنه فى مكان أمين ، أخرج بكرتىْ خيْط من جيبه وفحصهما ، وقال لنفسه :

— ماذا أفعل معها ؟ إنها تخيط الياقة بالخيط الأبيض مرة ، وبالخيط الأسود مرة أخرى ، ولا أتنبه إلى ذلك فى بعض الأحيان !

* * *

وسار وهو يَصْفِر ، وكانت الشمس قد مالت إلى المغيب ، ولكنّ ضوءها كان لا يزال يُنير الدنيا حوله . . . وفجأة كَفَّ « توم » عن الصفير ، عندما لمح شبح ولد غريب عن قرية (سانت بترسبرج) — فقد كان « توم » يعرف أولاد القرية جميعاً ، وكان متأكداً أن هذا الولد ليس منهم ! — وظهور إنسان جديد فى القرية الصغيرة شىء يُثير العَجَب ، ولكن هذا الولد لم يكن غريباً فقط ، بل كان مثيراً للانتباه أيضاً . كان أطْولَ من « توم » ، ملابسُه نظيفةٌ أنيقة ، ويضع فوق رأسه قلنسوة ، وربطة عنق حول رقبته . وأكثرُ من هذا ، أنه يلبس حذاء جديداً ، مع أنّ اليوم كان يوم جمعة وليس يوم أحد ، ولم يكن من أيام الأعياد أيضاً . . . ومع ذلك كان فى مَظْهَر الولد الغريب ، والجو المحيط به ، شىء لم يرق « توم » !

ونظر كلّ من الولدين إلى الآخر فى صمت وتحفُّز ، ثم قال « توم » :

توم : إننى أستطيع ضربك !

الغريب : تعالَ وجرِّب !

توم : أتظنّ نفسك قويًّا ؟ إننى أستطيع ضربك بيد واحدة . ويدى الأخرى خلف ظهرى !

الغريب : هذا كلام إنسان جبان ، وإذا لم تكفّ عن هذه السخافات كسرت رأسك !

توم : ها . . . ها . . . حقًّا ؟ !

الغريب : طبعًا !

توم : إذن تعالَ واكسرها ، إذا لم تكن خائفًا منى !

الغريب لست أنا الخائف . . .

توم : بل أنت !

الغريب : بل أنت . . .

واقترب الولدان ، ووقفًا كتِفا لكتف ، وضمّ كلّ منهما قبضة يده ، ولكنهما لم يفعلا شيئًا آخر . وقال « توم » :

– إنك جبان . وسأجعل أخى الأكبر يسحقك باصبعه الصغيرة !

– لا يهمنى أخوك الأكبر ، فعندى أخ أكبر منه ، وأخى يستطيع أن يقذف بأخيك من فوق هذا السور !

وفجأة تحرّك « توم » ، ورسم خطًّا على التراب بأصبع قدمه الكبيرة وقال :



— أتحدّاك أن تعبر هذا الخطّ !

فعبر الولد الغريب الخطّ فى تحدّ وقال :

— لقد قبلت تحدّيك ، أرنى قوتك !

— سأراهنك بقرشين [1] على أنى أستطيع أن أضربك !

فأخرج الولد كميّة من النقود من جيبه . ولوّح بها فى ازدراء فى وجه « توم » . فأسرع « توم » وخبط يد الولد . وأسقط النقود منها على الأرض ! . . . وفى لحظة تماسَكَ الولدان . ووقعا على الأرض ،

(١) استعملنا « القرش » هنا بدل « السنت » وهو العملة الأمريكية الواردة فى أصل القصة ، لتقريبها إلى ذهن القارئ العربى . (المترجم) .

وأخذا يتدحرجان على التّراب ، ويتضاربان بشدّة ، وكل منهما يشد شعر الآخر ، ويمزّق ملابسه !

. . . وبعد معركة عنيفة ، انزاح الغبار ، وظهر « توم » جاثمًا فوق ظهر خصمه ، يهدّده بقبضة يده ، والولد المسكين يحاول التخلص منه . . .

وأخيراً قال « توم » فى كبرياء :

– هذا درس لك حتّى تتأكد من شخصية الناس قبل أن تتهجّم عليهم !

وترك « توم » الولد الغريب ، فقام هذا فى هدوء ، وسار ينفض التّراب عن ملابسه الغالية ويبكى ، وهو ينظر خلفه مهدداً « توم » بأنه سوف يعود إليه ويضربه ، فى مرة قادمة !

وعاد « توم » متأخراً فى تلك الليلة ، ولما رأته الخالة « بولى » ، والتّراب يكسوه ، وقد تمزّقت ملابسه ، قررت أن تجعله يشتغل فى اليوم التالى ، وتحرمه من الإجازة !



٢

وجاء صباح يوم السبت ، وكان يومًا مشرقًا منعشًا مملوءاً بالبهجة ، وكانت السعادة تملأ كل قلب . . . ما عدا قلب « توم » !

كان « توم » يسير فى طريق جانبى ، وفى يده « جردل » مملوء بسائل الجير الأبيض ، وفرشاة ذات يد طويلة . كان عليه أن يبيّض السور الذى يمتد على طول الطريق ! . . . ونظر « توم » إلى السور الطويل العالى ، وشعر بالحزن

الشديد يملأ صدره ، فتأوّه وهو يغمس الفرشاة فى « الجردل » ، ويمرّ بها فى أعلى السور عدّة مرّات . . . ثم نظر إلى الجزء الأبيض ، وقارنه بالمساحة الشاسعة التى لم تبيّض بعد . . . فانقبض قلبه !

. . . وجلس « توم » على صندوق فارغ ، وقد غلبه اليأس . . . وجاء الولد الأسمر « جيم » — الذى يساعده أيضًا أحيانًا فى أعمال النظافة — وهو يثب فى مشيته ، حاملا « جردلا » صغيراً . كان فى طريقه إلى « طلمبة » القرية ليملأ « جردله » بالماء . وكان « توم » يعتقد دائمًا أن « جيم » لا يحسن أى عمل من الأعمال ، ولكنه الآن غيّر رأيه ، فقد تذكر أن عدداً كبيراً من الأصدقاء يلتقون عند الطلمبة . ولما اقترب « جيم » قال « توم » :

— اسمع « يا جيم » ، سأحضر لك الماء ، إذا بيّضت لى جانبًا من هذا السور !

فهزّ « جيم » رأسه ، وهو يقول :

— لا أستطيع يا سيد « توم » ، فقد حذّرتنى السيدة خالتك ، وقالت لى : « إذا طلب منك « توم » أن تساعده فدعه وشأنه ، وامض فى طريقك » . . . لذلك أنا آسف جدًّا يا سيد توم !

فقال « توم » :

— لا تهتم بما قالت ، فهى لن تعرف شيئًا !

وأجاب الولد :

ـــ لا أستطيع يا سيد « توم » ، فإنها سوف تعاقبنى ، أنا واثق من ذلك . سوف تضربنى على رأسى !

ـــ كلا ، إنها لا تضرب أحداً على رأسه ، إنها طيّبة ولا تعنى ما تقول ، ثم إننى سأعطيك قرشًا .

وبدأ « جيم » يتخاذل . . ثم قال :

ـــ قرش ؟ ولكننى خائف جدًّا ؟

ولم يستطع « جيم » مقاومة الإغراء ــ فهو بشر ! ــ فوضع « جردله » على الأرض ، وأخذ القرش . . . وفى تلك اللحظة ظهرت الخالة « بولى » عائدة من الحقل . ولم يكد « توم » يراها حتى أسرع إلى فرشاته ، وأخذ يبيّض السور بقوة وحماسة . أما « جيم » فقد حمل « جردله » وفرّ هاربًا !

لكن حماسة « توم » لم تستمرّ طويلا ، وبدأ يفكّر فى برنامج اللعب الذى أعدّه ليومه ، وفى الأولاد الذين سيسخرون منه ، وهم فى طريقهم إلى اللعب ، وهو مستمرّ فى عمله السخيف ! . . . وعند هذه الفكرة تملكه الغضب الشديد ، فأخرج كلّ ثروته ، وعدّها . فإذا بها قروش قليلة لا تشترى له ساعة من الحرية . . . فأعاد ثروته إلى جيبه ، واستسلم لليأس !

وسرعان ما لمع فى ذهنه خاطر . . . فأمسك بفرشاته ، وعاد إلى العمل ، وقد ظهر « بن روجرز » من بعيد . . . وكان « بن روجرز »

أثقل الأولاد ظلا على قلب « توم » . وتقدم « بن » وهو يقضم تفاحة شهية . . . ولكن « توم » مضى فى عمله، بدون أن يلتفت إلى « بن » . . . فحملق « بن » لحظة ، ثم صاح :

— ماذا تفعل يا « توم » ؟

وتظاهر « توم » بأنه لم يسمع ، ومضى فى عمله ، وهو يتأنَّى فى تمرير الفرشاة ، تأنِّى « الفنان » المعجب بفنّه ! . . . فى الوقت الذى كان فيه لعابه يسيل للتفاحة الشهية !

وصاح « بن » مرة أخرى :

— كيف حالك يا « توم » ؟ ألا تريد أن تترك هذا العمل وتأتى للسباحة معى ؟

واستدار « توم » فجأة وقال :

— أهو أنت يا « بن » ؟ إننى لم أحس بحضورك ، ثم إن هذا ليس عملا !

واستأنف عمله ، وهو يقول :

— إن تبييض سور فرصة لا تتاح للولد منا كل يوم !

وعند ما سمع « بن » هذه الجملة توقف عن مضغ التفاح ، وأخذ ينظر إلى « توم » فى إعجاب واحترام . . . ثم توقف « بن » عن قضم تفاحته ، فى حين استمر « توم » فى عمله . . . وبين الحين والحين كان [illegible]اجع ليتأمل البياض ، ثم يضيف لمسة هنا ، ولمسة هناك . . . وكان

« بن » يراقب كل حركة ، واهتمامه يزيد شيئًا فشيئًا ، ثم قال فجأة :

ــ دعنى أبيّض قليلا يا « توم » !

وبدا أن « توم » أوشك أن يوافق ، ولكنه غيّر رأيه ، وقال :

ــ كلا ، فإن الخالة « بولى » مهتمة بهذا السور اهتمامًا خاصًّا ، لأنه يطلّ على الشارع ، فلو كان السور الخلفى لما مانعت ، أما هذا السور فلا بد من العناية التامة بتبييضه ، ولا أحسب أن هناك ولداً فى الألف يستطيع أن يبيضه على النحو الموغوب فيه !

فقال « بن » :

ــ أتظنّ هذا ؟ دعنى أجرّب مرّة يا « توم » . . . لو كنت مكانك لتركتك تجرب . . .

فردّ عليه « توم » :

ــ أنا لا أمانع ، لكن الخالة « بولى » لن توافق ، فقد رفضت أن تسمح « لجيم » بالعمل فيه ، حتى « سدى » نفسه أراد أن يقوم بالعمل ولكنها رفضت أيضًا . والآن دعنى أتم عملى . . .

فتوسل إليه « بن » قائلا :

ــ اسمع يا « توم » ، دعنى أبيض السور وأنا أعطيك تفاحتى !

ونظر « توم » إلى « بن » لحظة ثم قال :

ــ أنا فى الحقيقة خائف يا « بن » ، لكن لا بأس ، هات التفاحة .

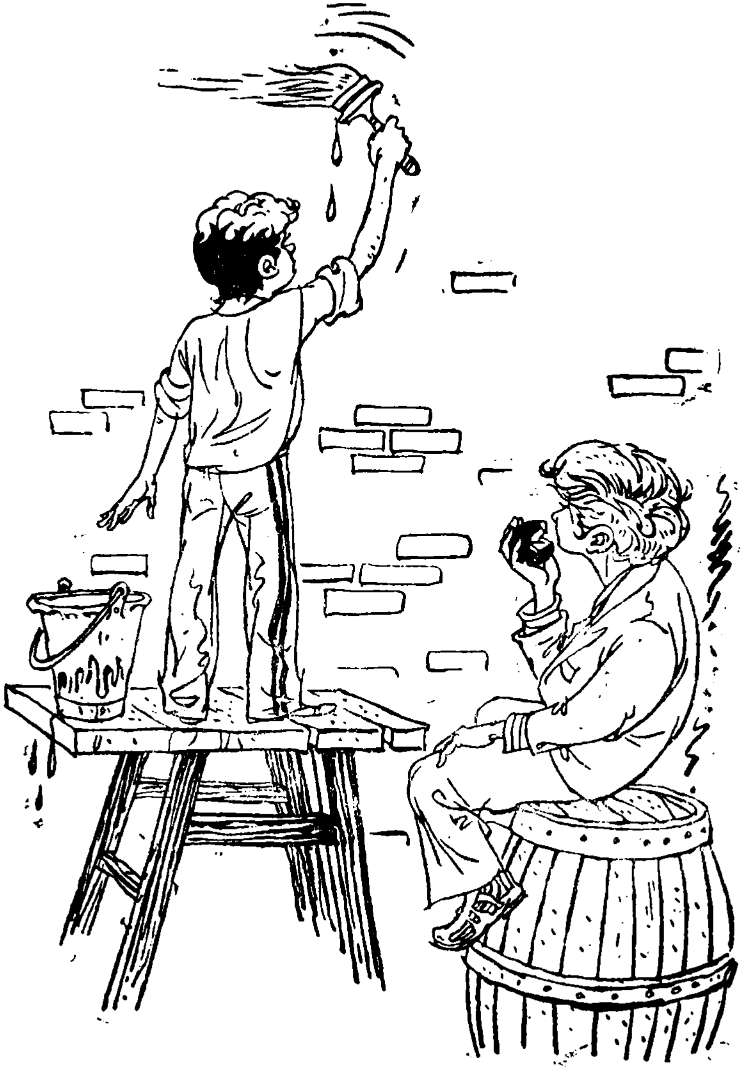
وأخذ « توم » التفاحة ، وأعطى « بن » الفرشاة ، وقلبه يكاد يطير من صدره من الفرحة !

وهكذا ، بينما كان « بن » يعمل فى جد ومشقة . والعرق يتصبَّب منه ، جلس الفنان المتقاعد « توم » على برميل فى الظل ، واضعاً ساقاً فوق ساق ، وهو يقضم التفاحة فى تلذّذ ، مفكراً فيمن يكون ضحيته التالية بعد « بن » !

وكان ضحيته التالية « بيلى فيشر » ، الذى انتهز الفرصة الذهبية التى أتاحها له « توم » فى أن يكون « فناناً » ، مقابل طيارة ورق ، أخذها « توم » فى ضيق وتعفف !

وأشبع « بيلى » هوايته الفنية فى تبييض الحائط ! . . . وهكذا ، ساعة بعد ساعة ، أخذ صبيان المنطقة يقومون بالعمل فى تبييض السور ، حتى إذا ما انتصف النهار كان « توم » قد ازداد ثراء ! . . . فإلى جانب الأشياء التى ذكرناها ، وإلى جانب تبييض الآخرين السور — بدلا منه ! — حصل « توم » على : اثنتى عشرة بلية ، وقطعة زجاج زرقاء ، ونحلة ، ومفتاح يفتح أى شىء ، وقطعة طباشير ، وعسكرى صفيح ، وسدادة من الزجاج ، ومقبض باب نحاسى ، وحزام كلب — ولكن من غير كلب ! — ومقبض سكين ، وأربع قطع من الخشب البرتقالى !

حصل « توم » على كل هذه « الثروة » ، وراح يلهو بها ، فى حين كان الأولاد يتعاقبون الواحد بعد الآخر ، يبيّضون السور ! . . . حتى فرغوا



من وضع ثلاث طبقات من البياض عليه . ولولا أن الجير نفد من « توم » لكان قد أفلس كل ولد فى القرية !

وبعد أن أخفى « توم » كنزه الثمين ، ذهب ليبلغ خالته « بولى » أنه قد فرغ من مهمته ! . . . قال لها :

– أتسمحين لى بالخروج للعب الآن يا خالتى ؟

فسألته :

– هل فرغت من عملك بهذه السرعة ؟! . . . كم بيضت من السور ؟

– كله يا خالتى !

وذهبت الخالة للتأكد بنفسها ، وهى ترجو أن يكون « بن » قد أتم عشرين فى المائة فقط من عملية تبييض السور – وكانت على استعداد للرضا عنه لو كان فعل ذلك – ولكنها عندما وجدت السور كله مبيَّضًا ، استولت عليها الدهشة ، وصاحت :

– هذا غريب ، إنك تستطيع العمل إذا رغبت فى ذلك ! يمكنك أن تذهب الآن . ولكن تذكر أن تعود الليلة مبكراً ، وإلا عاقبتك .



٣

أسرع « توم » إلى الميدان الرئيسى فى القرية، ليجد معسكرين من الأولاد على استعداد للقتال :

كان « توم » قائداً لأحد الجيشين ، و « جو هاربر » قائداً للجيش الثانى ... وبدأ القتال بين الجيشين ، واستمر فترة طويلة ، وانتهى بانتصار جيش « توم » انتصاراً باهراً . ثم تبادل الجيشان « الأسرى » ، وتحدد اليوم الذى يلتقيان فيه مرة أخرى . . . وبعد ذلك تفرق أفراد الجيشين ، وأخذ « توم » طريقه إلى البيت .

وفى الطريق إلى البيت مرّ « توم » بمنزل « جيف ثاتشر » ، وشاهد فى حديقته بنتًا صغيرة لطيفة ، لفتت نظره بشعرها الأصفر الطويل المجدول ، فوقف يتأملها ساكنًا بدون أن تراه ، ولكن الفتاة أدارت وجهها فرأته ، فتظاهر بأنه لا ينظر إليها ، وأخذ يقوم ببعض ألعابه البهلوانية المثيرة . وبينما هو منهمك فى أداء لعبة خطرة ، رآها تستدير ثم تدخل البيت . ظل « توم » واقفًا فترة طويلة لعلها تعود ، ولكن الفتاة لم تخرج ، فوضع يديه فى جيبى بنطلونه ، وانطلق إلى منزله .

وجاء صباح يوم الاثنين والحزن يخيم على قلب « توم » — وكان هذا حاله فى صباح كل يوم اثنين ، لأنه بداية الأسبوع الدراسى ! — وحاول « توم » بكل جهده أن يتغلب على اليوم « المنحوس » ، فتأوّه وتظاهر بأنه مريض . ولكن لم يكن من السهل تَغَفَل الخالة « بولى » ، وكانت النتيجة أنها خلعت له ضرسًا كان غير ثابت فى مكانه !

وفى الطريق إلى المدرسة التقى « توم » بـ « هكلبيرى فين » ، وكما هى العادة دائمًا كان « هوكى » أو « فين » يتمخطر فى أسماله وخرقه البالية ، وهى فى الحقيقة أسمال رجل يكبره بأعوام وأعوام : فقبعته حطام قبعة واسعة ، ومعطفه يتدلّى حتى كعبيه . وبنطلونه معلّق بفردة حمالة ، وأطراف البنطلون تغوص فى التراب !

وكانت كل أمهات القرية لا يحببن « هوكى فين » ، فهو ولد كسلان ، غير مهذب ، زَرِىّ المظهر ، ومع ذلك فإن أطفالهن يحبونه بالرغم من

عيوبه – أو من أجل عيوبه ! – ويحبون صحبته . فهو يروح ويجىء فى القرية فى حرية مطلقة ، ينام على الرصيف فى الليالى الصيفية الجميلة . وفى البراميل الفارغة فى الليالى الباردة . فليس عليه أن يذهب إلى المدرسة أو إلى الكنيسة . وليس لأحد سلطان عليه ، ويستطيع أن يستحم فى البحيرة متى طاب له ذلك . وهو ليس مطالبًا بأن يستحم ، أو أن يغيّر ملابسه !

وبالاختصار كان هذا الولد يتمتّع بحرية مطلقة . وكانت الأوامر المشدّدة قد صدرت إلى « توم » بعدم اللعب مع « هوكى » ، ولذلك كان « توم » يلعب معه بين الحين والآخر ، كلما سنحت له الفرصة ! . . .

وعندما التقى به « توم » فى ذلك اليوم ، صاح فى فرحة :

– أهلا . « هوكى » ! ماذا فى يديك ؟

– قطة ميتة .

– دعنى أرها ! إنها جميلة وإن كانت ميتة . من أين حصلت عليها ؟

– اشتريتها من ولد .

– قل لى ما فائدة القطط الميتة يا « هوكى » ؟

– إنها تشفى الحبوب التى تظهر فى الجلد .

– وكيف تشفى الحبوب ؟

فأجابه هوكى :

– بسيطة ، تأخذ القطة الميتة ، وتذهب إلى المدافن فى منتصف الليل ، بعد دفن رجل شرير ، وفى منتصف الليل يأتى الشيطان ، وقد يأتى شيطانان أو حتى ثلاثة ، ولكنك لا تستطيع رؤيتهم . وعندما يأخذ الشياطين جثة الشرير ، تلقى القطة وراءهم ، وتقول : « يا شيطان ، اذهب وراء الجثة . . . ويا قطة ، اذهبى وراء الشيطان . . . وياحبوب اذهبى وراء القطة . . . » وهكذا تتخلص من الحبوب إلى الأبد !

فقال « توم » :

– طريقة معقولة . ولكن هل جربتها يا هوكى ؟

– كلا ، ولكن الجدة « هوبكنز » أخبرتنى بها .

فقال « توم » :

– إذن فهى طريقة صحيحة ، لأن المعروف عن « هوبكنز » أنها ساحرة ! . . . قل لى يا « هوكى » ، متى تجرب هذه القطة ؟

– الليلة ، لأنى أعتقد أن الشياطين ستأتى لتأخذ جثة « هوس وليامز » الليلة .

فقال « توم » :

– خذنى معك يا « هوكى » !

– لا مانع ، إذا كنت لا تخاف .

– أخاف ؟ لا ، اطمئن .

وهنا افترق الصديقان ، بعد أن تواعدا على اللقاء فى منتصف الليل !

* * *

وسار « توم » فى طريقه إلى المدرسة ، وعندما وصل إلى السور الخارجى للمدرسة اندفع إلى الداخل بسرعة ، وجلس بطريقة تدل على الجد والاهتمام . وكان المدرس جالساً على كرسيه العالى وقد غلبه النوم ، ولكن دخول « توم » المفاجئ أيقظه ، فصاح :

— « توماس سوير » !

وكان « توم » يعلم — عندما ينطق المدرس اسمه كاملا — أن هناك متاعب ستحل به !

فأجاب :

— نعم يا أستاذ !

— تعال هنا ! قل لى لماذا تأخرت ؟

وأوشك « توم » أن يلجأ إلى أكذوبة يسوغ بها تأخيره ، ولكن نظره فى هذه اللحظة وقع على ضفيرتين من الشعر الأصفر تتدليان وراء ظهر مقعد . فعرف على الفور أن صاحبتهما هى الفتاة التى أعجب بها ، وكان بجانبها المقعد الخالى الوحيد فى الصف الذى تجلس فيه البنات . وأمام هذا المشهد قرر « توم » أن يغير خطته ، بحيث يعاقبه الأستاذ بالجلوس فى صف « الفتيات » ؟ . . . فقال :

— لقد قابلت « هكلبيرى فين » ، ووقفت أتكلم معه بعض الوقت .

وتوقفت أنفاس المدرس ، وحملق فى « توم » كمن لا يريد أن يصدق ما سمع . وساد الصمت الفصل . هل فقد هذا الولد العنيد عقله ؟

وسأله المدرس ، كمن لا يصدق أذنيه :

— تقول ماذا فعلت ؟

— توقّفت لأتكلم مع « هكلبيرى فين » . . .

إذن فإن سَمْع المدرس لم يخطئ ، فقال :

— يا « توماس سوير » ، هذا أشنع اعتراف سمعته حتى الآن ! اخلع معطفك .

وظل المدرس يضربه حتى تعب من الضرب ، ثم أصدر الأمر التالى :

— الآن اذهب واجلس فى صف البنات !

وهكذا نفّذ « توم » خطته بنجاح . فعبر الممر الفاصل بين الأولاد والبنات . وجلس بجوار الفتاة ذات الشعر الذهبى . . . فابتعدت البنت قليلا . . . وعاد الفصل شيئًا فشيئًا إلى حالته الأولى . . .

وبدأ « توم » يختلس النظرات إلى الفتاة ، فقطّبت وجهها . والتفتت إلى الجانب الآخر مدة دقيقة . وعندما التفتت ناحيته ثانية . فى حذر . رأت أمامها ثمرة « خوخة » . فألقتها بعيداً . . . لكن « توم » أعادها



إلى مكانها ، فألقتها ثانية ، وفى صبر أعادها « توم » ، فتركتها الفتاة حيث هى ! . . . فكتب « توم » على لوحه الإردوازى :

— أرجو أن تأخذيها ، فعندى غيرها !

. . . وتأملت الفتاة الكلمات ، بدون أن تبدى إشارة ما ، فى حين أخذ الولد يخطّ شيئًا على اللوح ، وهو يخفى ما يخطه تحت كفّ يده . . . ورفضت البنت حينًا أن تُبدى اهتمامًا مًّا ، ولكن حب الاستطلاع تغلّب عليها فى النهاية ، فهمست :

— دعنى أرى . .

ورفع « توم » يده عن البيت الذى كان يرسمه . فنظرت الفتاة إلى الرسم فى شغف واهتمام ، وقالت هامسة :

— إنه رائع ، أودّ لو أستطيع الرسم .

فهمس « توم » :

— مسألة سهلة ، أنا مستعد لأن أعلمك الرسم .

— صحيح ؟ متى ؟

— فى فسحة الظهر ، إذا بقيت ولم ترجعى إلى البيت لتأكلى .

— سأبقى إذا بقيت أنت .

— حسن ، ما اسمك ؟

— « بيكى ثاتشر » !

وفى فسحة الغداء ، أعطى « توم » « بيكى » قلماً . وبدأ يساعدها فى الرسم ، وكانا يشعران بالسعادة وهما يتحدثان معاً ، ويرسمان معاً .





٤

في الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة، سمع «توم» — وهو نائم في فراشه — صيحةً وصوت اصطدام زجاجة فارغة بالسطح. وبعد دقيقة واحدة كان قد ارتدى ملابسه، وأخذ يزحف على سطح البيت . . . وبجانب الجدار كان «هوك» في الانتظار، ومعه قطته الميتة!

وانطلق الولدان تحت جنح الظلام ؛ وبعد نصف ساعة كانا يشقَّان طريقهما وسط حشائش المقبرة الطويلة. ووجدا القبر الجديد الذى كانا

يبحثان عنه ، ثم احتميا وراء ثلاثة أشجار تبعد قليلا عن القبر ، وأرهفا السمع . . . ومن بعيد جاء نعيق البوم يبدّد السكون المخيم على المقبرة . . . وانتظر الولدان ، فى صمت ، فترة بدت لهما طويلة . . .

وفجأة قبض « توم » على ذراع صديقه ، وقال :

— أتسمع ؟

— ماذا ؟

— صه ! ها هوذا الصوت مرة ثانية . ألم تسمعه ؟

— يا إلهى ! . إنهم قادمون يا « توم » ! . . . آه ، ليتنا لم نأت !

— لا تخف ! . . . إذا بقينا صامتين ساكنين تماماً فلن يحدث لنا شىء !

وسمعا أصواتاً مختلفة من بعيد ، ثم ظهرت ثلاثة أشباح ، وفى يد كل منها مصباح قديم . وهمس « هوك » فى أذن « توم » ، وهو يرتعد من الخوف :

— يا إلهى ! لقد ضعت يا « توم » ، أتستطيع الصلاة ؟

وبدأ « توم » يصلّى ، عندما همس « هكلبيرى » مرة ثانية :

— اسكت !

— ماذا هناك يا « هوك » ؟



— إنهم بشريا « توم » . وأحدهم هو « موف بوترز » ، لقد عرفته من صوته ، يبدو أنه سكران كعادته دائمًا .

— فعلا يا « هوك » ، وقد عرفت ثانيهم ، وهو « أنجون جو » .

— هذا صحيح ، ولكن ماذا يفعلون هنا ؟

وكفّ الولدان عن الهمس ، فقد اقترب الرجال الثلاثة ، حتى وصلوا إلى القبر ، ووقفوا على بعد خطوات من مخبأ الولدين .

وكان ثالثهم هو الذى يحمل المصباح ، وقد كشف الضوء عن وجهه فظهر أنه الطبيب الشاب « روبنسون » !

وقال الطبيب : « ها هو ذا القبر ! »

فوضع « بوتر » و « أنجون » النقالة التى كانا يحملانها على الأرض ، وبدآ يفتحان القبر . . . ووضع الدكتور المصباح فى مقدمة القبر ، ثم جلس ، وظهره ناحية الأشجار التى اختبأ خلفها « توم » و « هكلبيرى » ، وكان قريبًا من الولدين بحيث يستطيعان لمسه إذا أرادا !

وأخذ « توم » و « هوك » يراقبان ما يحدث أمامهما ، وبدا واضحًا أن الدكتور « روبنسون » قد استأجر « بوتر » و « أنجون » ليقوما بإخراج الجثة ليشرحها الدكتور كما كان يحدث فى ذلك العهد . . . فقد كان أهالى الموتى يرفضون تشريحهم ، فكان الأطباء يضطرون إلى سرقة الموتى ، لعمل دراساتهم !

وبعد أن انتهى « بوتر » و « أنجون » من عملهما ، أخرج « بوتر » خنجره ليقطع به حبلا ، وقال :

— الآن وقد فرغنا من العمل ، عليك أن تدفع خمسة دولارات أخرى !

وانضم اليه « أنجون جو » قائلا :

— بالضبط : خمسة دولارات كاملة !

فقال الطبيب :

— اسمعا ، لقد دفعت لكما أجركما مقدمًا !

فردّ عليه « أنجون جو » وهو يقترب منه ، وكان الدكتور قد نهض واقفًا :

— نعم ، بل فعلت ما هو أكثر من ذلك ؛ فمنذ خمس سنوات طردتنى من بيتكم عندما طلبت منك طعامًا آكله ، وسجننى والدك بتهمة التشرد . هل تحسب أننى نسيت ؟ الآن نستطيع أن نصفى الحساب بيننا !

وكان يهدّد الطبيب ، ملوّحًا بقبضته فى وجهه ! . . . ولكن هذا ضربه فجأة ، فوقع على الأرض ، وأسرع « بوتر » فألقى بخنجره على الأرض ، وصاح :

— قف ، لا تضرب زميلى !

والتحم مع الطبيب فى مشاجرة حامية ، وهنا وثب « أنجون جو » ناهضًا على قدميه ، ثم التقط خنجر « بوتر » وراح يدور حول المتشاجرين ، منتظراً الفرصة ليضرب ضربته !

استمرت المعركة بين الطبيب و « بوتر » فترة من الوقت ، ثم استطاع الطبيب فى النهاية أن يضرب « بوتر » ضربة قوية ، سقط على أثرها مغمى عليه . . . وفى اللحظة نفسها ضرب « أنجون جو » الطبيب بخنجر « بوتر » ، فسقط الطبيب . . . ميتًا !

وهنا أسرع « أنجون جو » بوضع الخنجر فى يد « بوتر » ، ثم جلس فى هدوء ، ينتظر . . .

ومضت لحظات ، أفاق « بوتر » بعدها من إغمائه ، وأخذ ينظر حوله فى ذهول ، ثم قال :

— ماذا حدث يا « جو » ؟

فأجاب : « جو » فى بساطة :

— ألا تعلم ماذا حدث ؟ . . . إنك قتلت الطبيب يا « بوتر » !

وكأنما لم يصدّق « بوتر » ما سمعه ، فأخذ يهزّ رأسه ويقول :

— أنا قتلت الطبيب ؟ غير معقول يا « جو » ! إننى لم أمسك خنجراً فى حياتى !

— إن إنكارك لا يفيد يا « بوتر » ، فهاهوذا الخنجر فى يدك ، وهو دليل كاف على أنك قتلته !

وأخذ « بوتر » يرتعش وهو يردد :

— يا إلهى ! . . ماذا فعلت ؟ إننى لم أقصد قتله مطلقاً ، قل لى كيف حدث هذا يا « جو » ؟

وقال « جو » فى هدوء :

— لا تقلق بالك ، إنك قتلته فى حالة « دفاع عن النفس » !

فقال « بوتر » وهو يرتعد بشدة :

— إننى لا أذكر شيئاً ، فقد كنت مخموراً !

واستمر يرتعد ويقول :

— إننى لم أمسك بخنجر من قبل يا « جو » ! قل لى إنك لن

تُفشى سرّى . أتقسم لى على ذلك يا « جو » ؟

وركع المخلوق البائس على ركبتيه أمام القاتل الحقيقى ، وضمّ يديه فى توسُّل وضراعة . . .

فأجابه « أنجون جو » :

ــ كلا ، لن أبلغ أحداً بما حدث ، فقد كنتَ مضطرًّا إلى ذلك !

فصاح « بوتر » :

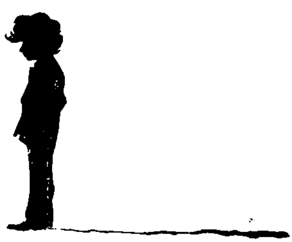
ــ آه ، يالك من ملاك يا « جو » ! سأدعولك طول حياتى !

وغلبه البكاء وأخذ يرتعش ، فقال له « جو » :

ــ لا وقت للبكاء الآن ، يجب أن نترك هذا المكان بسرعة ، وليسِرْ كلّ منا فى طريق مختلف !

ونهض « بوتر » وخطا خطوات متعثّرة فى أول الأمر ، ولكنها سرعان ما تحولت إلى عدو سريع . أما « جو » فقد وقف فى مكانه ينظر إليه ، وقال فى نفسه :

ــ إنه ذاهل عن كل شىء ، فلم يفطن إلى الخنجر الذى تركه خلفه ، ولن يعود إليه ، وهو الدليل القوى على أنه مرتكب الحادث !





٥

وكان « توم » ، و « هوك » يراقبان ما يجرى أمامهما ، وقد استولى عليهما الفزع الشديد ! ... وبعد أن خلت المقبرة من الرجلين أسرع الصبيان يجريان . . . وعندما وصلا إلى أحد الأكواخ التى تقع خارج القرية ، اندفعا إلى الداخل ، وارتميا على الأرض ، وهما فى أشد حالات التعب والإجهاد . وبعد قليل همس « توم » فى أذن « هوك » :



ــ قل لى يا « هوك » ، ماذا يحدث بعد ذلك ؟

ــ إذا كان الدكتور « روبنسون » قد مات ، فلا بد من إعدام القاتل !

ــ ومن يشهد على القاتل ؟ هل نشهد عليه نحن ؟

واحتار « توم » و « هوك » فيما يفعلانه بعد أن شاهدا « أنجون جو » يقتل الطبيب ، ثم يوهم صديقه « بوتر » بأنه هو القاتل ! . . . وفى النهاية اتفقا على عدم إفشاء السر ، وأحضر « توم » قطعة من الخشب كتب عليها بالفحم : « نقسم نحن "هوك فين"،و "توم سوير" على ألا نخبر أحداً بما حدث » . ووقع الصديقان على قطعة الخشب ، وألقياها بجوار حائط . .

* * *

كانت أخبار الجريمة قد انتشرت فى القريه . وعند الظهر قال العمدة إنه سيقبض على القاتل « موف بوتر » الذى وجدت سكينه بجوار الطبيب المقتول !

وذهب « توم » و« هوك » إلى المقبرة مع الناس ليعرفا ما سيحدث . . . ومرّ بعض الوقت ، ثم ظهر العمدة وهو يقبض على « بوتر » . وكان « بوتر » يبدو شاحباً منهاراً ، فى حين وقف القاتل الحقيقى « أنجون جو » فى هدوء يرقب الموقف ، وكأنه لا يعنيه !

وقف « بوتر » يرتعش ، ثم غطّى وجهه بيديه وبكى ، وأخذ يصيح

ــ أقسم لكم أنني لم أقتله يا أصدقائي ، أقسم بشرفي ، صدقوني أنا لم أقتله !

ورفع « بوتر » وجهه وأخذ ينظر إلى من حوله في يأس ،فلما رأى « أنجون جو » صاح موجهاً الكلام إليه :

ــ « أنجون » ، قل لهم الحقيقة ، قل لهم إنني لم أقتله !

وانتظر « توم » و « هوك » أن يقول « أنجون » الحقيقة ، ولكنه ظلّ صامتاً ، فلما جاء وقت التحقيق أكد أن « موف بوتر » هو القاتل !

وأحس « توم » بتأنيب الضمير ، لأنه يعرف الحقيقة ولم يقلها . . . ومرت فترة طويلة وهو لا ينام . وأخيراً هدأت حالته وعاد إلى المدرسة . كان « توم » يشعر بالسعادة وهو ذاهب إلى المدرسة لأنه سيقابل صديقته « بيكى » ، ولكن سعادته انقلبت إلى حزن عندما وجدها متغيبة ، ومرت الأيام بدون أن تعود « بيكى » .

وذات يوم شاهدها قادمة ، فأحسّ بالفرح يغمره ، وأخذ يجرى ويصفّق ويصيح ، ويطارد الأولاد كأنه أحد الهنود الحمر ، ويقفز على السور ويقف على رأسه ، ويمشى على يديه . . !

واقترب « توم » من « بيكى » وهو يواصل ألعابه البهلوانية ، ثم خطف قبّعة أحد الأولاد ، ورمى بها على سطح المدرسة ، واقتحم صفوف مجموعة من تلاميذ المدرسة ، وسقط بالقرب من « بيكى » . . . فاستدارت مبتعدة عنه ، وسمعها تقول :

— إن بعض الناس يظنّون أنهم ظرفاء ، ويبالغون فى إظهار ظرفهم !

واحمرّ وجه « توم » خجلا ، وأحس بالألم يغمر نفسه ، فسار فى طريقه حزيناً مهموماً . . . حتى التقى « بجو هاربر » الذى كان حزيناً أيضاً . ومشى الولدان يتحدّثان ، فقال « جو » إنه يفكر فى أن يذهب إلى مغارة مهجورة ، ويعيش فيها كما يعيش الناسك على الماء والخبز الجاف ! . . . ولكن « توم » أكد له أن فى الدنيا مباهج أخرى ، وأن من الأفضل أن يقوما برحلة طويلة بعيداً عن القرية ، يتمتعان فيها بمشاهدة الطبيعة ، ويعيشان بعيداً عن الأحزان . ووافق « جو » على فكرة « توم » . . .

وعلى بعد ثلاثة أميال من قرية « سانت بتسبرج » — حيث كانا يعيشان — وفى مكان يتسع فيه نهر « المسيسبى » ، كانت هناك جزيرة طويلة لا يسكنها أحد ، وتغطّيها الأشجار ، وقد وقع اختيار الصديقين على أن يرحلا إلى الجزيرة ويعيشا فيها . وفكر الولدان فى أن يضمّا إليهما « هوك فين » ، فلما عرضا عليه الفكرة وافق فى الحال . . . واتفق الثلاثة على أن يلتقوا عند المساء ، وأن يجهّز كل منهم أدوات لصيد السمك ، وكل ما يستطيع الحصول عليه من طعام .

وعند المساء ذهب « توم » إلى المكان المحدّد ، وهو بقعة خالية خارج القرية ، حيث كان يوجد « طوف » طويل من الخشب ، قرروا الاستيلاء

عليه والإبحار به إلى الجزيرة .

وقف « توم » يحدّق فى الظلام ، وهو يحمل طعامه وبعض الأشياء التافهة التى يحبّها ، وبعد فترة أطلق صفيراً رقيقًا واضحًا ، وجاء الردّ من بعيد ، وسمع من يسأله :

— من هناك ؟

فأجاب « توم » :

— « توم سوير » . من أنتما ؟

— « هوك فن » ، اليد الحمراء .

— « جو هاربر » ، مرعب البحار .

وكانت هذه هى الأسماء الثلاثة التى اختارها الأولاد ليطلقوها على أنفسهم فى رحلتهم البحرية . وعندما وقف الثلاثة معًا ارتفع صوتهم بقسم الإخلاص وهو :

— الحرية !

ركب الأصدقاء الثلاثة « الطوف » الخشبى ، وتولى « توم » القيادة ، وأمسك « هوكى » بالمجداف الأمامىّ و « جو » بالمجداف الخلفىّ . ووقف « توم » وسط الطوف يصدر أوامره ، وقد بدا عليه الجد والاهتمام . . . وفى وسط « الطوف » تكوّمت الأشياء التى أتى بها الأصدقاء . وكان « جو » (مرعب البحار) قد أحضر قطعة لحم ، أما « هوكى » (اليد الحمراء) فقد أحضر مقلاة وبعض الأشياء الصغيرة .

وفى الساعة الثانية من صباح اليوم التالى رسا « الطوف » على الشاطئ الرملى لجزيرة (جاكون) ، التى اختاروها مقرًّا لمعسكرهم ، فوضعوا شراعًا فوق المؤونة ليجلب الهواء حتى لا تفسد ، وأشعلوا ناراً وضعوا عليها المقلاة وبها قطعة اللحم ، وأعدوا عشاءهم .

وقال « جو » بعد أن أكلوا آخر قطعة من اللحم :

– أليس هذا شيئًا لطيفًا ؟ إننا نشبه القراصنة الآن !

ووافق الصديقان بحماسة على هذه الصفة ، وقال « هوك » :

– ولكن ماذا يعمل القراصنة ؟

وأجاب « توم » :

– إن القراصنة يهاجمون السفن ، ويستولون على ما فيها من أموال ، ثم يدفنون هذه الأموال فى جزيرة بعيدة تملؤها الأشباح !

وقال « جو » وقد أخذته الحماسة :

– وهم يرتدون أفخر الثياب ، ويتحلَّوْن بالذهب والفضة والألماس !

فسأله « هوكى » :

– من ؟

وأجاب « جو » فى انزعاج :

– القراصنة طبعًا !

ونظر « هوكى » إلى ثيابه المهلهلة وقال :

– أظن أننى لا أرتدى من الملابس ما يليق بقرصان ، ولكن على

كل حال لا أملك غيرها .

وأسرع « توم » و « جو » يطمئنان « هوكى » إلى أنه سيرتدى الملابس الفاخرة يومًا ما ، ولابأس بثيابه هذه الآن . . . وبدأت أحاديثهم تقلّ شيئًا فشيئًا ، وأخذ النوم يتسلَّل إلى جفونهم ، ولكنهم لم ينسوا أن يرتلوا الصلاة . فقد خشوا أن تنتقم منهم السماء فى حياتهم الجديدة ، إذا أهملوا الواجبات الدينية .





وفى الصباح كان « توم » أول من استيقظ ، وهزّ صديقيه الآخرين فاستيقظا ، وأخذوا جميعًا يصيحون صيحات الفرح ، وبعد دقيقة كانوا قد خلعوا ملابسهم وقفزوا إلى الماء بالقرب من الشاطئ ، وراحوا يعبثون فى الماء . . . ووجدوا أن طوفهم الخشبى قد ابتعد عن مكانه أثناء الليل .

وخرج الأصدقاء الثلاثة من الماء وهم فى غاية الجوع ، وسرعان ما أشعلوا النار ،

واصطادوا بعض السمك وشووه . . . وبعد أن أكلوا وشبعوا استلقوا فى الظل .

. . . وبعد راحة قصيرة قام القراصنة الثلاثة بجولة استكشافية فى الجزيرة ، ثم نزلوا مرة أخرى إلى الماء . وعادوا إلى معسكرهم عند الظهر وهم يشعرون بالجوع والتعب ، فأكلوا طعامًا باردًا . واستلقوا فى الظل يتبادلون الحديث . . . وبعد قليل أخذ الحديث يقل ويتباعد . . . ثم توقف تمامًا . وشعر الثلاثة بالوحدة تثقل عليهم وسط السكون المطبق على الجزيرة المهجورة .

وبدأ الحنين إلى بيوتهم يتسلل إلى قلوبهم . حتى « هوكى » بدأ يحلم ببراميله الفارغة ، والأرصفة التى تعود أن يقضى عليها أيامه ولياليه . . ولكن أحداً منهم لم يجسر على التعبير عن مشاعره . حتى لا يتهم بالضعف !

وانقضت مدة طويلة ، ثم بدأ الأولاد يسمعون صوتًا غريبًا من بعيد ، وزاد الصوت وضوحًا . . . فصاح « جو » :

— ما هذا ؟

فأجاب « هوكى » :

— يبدو أنه صوت الرعد .

وأنصتوا فترة ، ثم سمعوا الصوت من جديد . . . فقال « هوكى » :

— ليس هذا صوت الرعد بكل تأكيد !

فقال « توم » :

— هيًّا إلى الشاطئ لنرى ماذا هناك .

وأسرع الثلاثة إلى الشاطئ ، وأطلّوا على البحر ، فرأوا قاربًا بخاريًّا على بعد ميل من الجزيرة ، وبدا ظهر القارب مزدحمًا بالركاب ، وبعد قليل انطلقت سحابة من الدخان الأبيض من جانب الزورق ، وتكرّر الصوت الذى يشبه الرعد . . . فصاح « توم » :

— لقد عرفت السبب ، لا بد أن شخصًا يغرق !

فقال « هوكى » :

— فعلا ، لقد فعلوا هذا فى العام الماضى عندما غرق « بيل تيرز » فقد أطلقوا قنبلة مدفع على سطح الماء ، فطفا الغريق فوق الماء .

وقال « جو » :

— كم أودّ أن أكون هناك لأعرف من الغريق .

وانتظر الأولاد فترة ، بدون أن يتبادلوا الكلام ، وفجأة صاح « توم » :

— لقد عرفت من الغريق ، إننا نحن الغرقى يا أولاد ، فهم فى القرية يظنون أننا غرقنا ، وهم يبحثون عن جثثنا !

واستمر القارب فترة من الوقت يطلق مدافعه ، ولما حل وقت الغروب اختفى الزورق ، وعاد الأولاد إلى معسكرهم ، فاصطادوا سمكًا ، وطبخوا عشاءهم وأكلوه ، ثم راحوا يفكرون فيما يقال عنهم فى البلدة ، وماذا يفعل أهلوهم ؟

* * *



وعندما بدأ الظلام يخيم على البحيرة ، كفّ الثلاثة عن الكلام ، وأخذوا يحدّقون فى النار الموقدة . وبدا واضحًا أن حماسة الثلاثة قد خمدت ، ولم يستطع « توم » و« جو » أن يمنعا نفسيهما من التفكير فى أسرتيهما . وبدأ الولدان يشعران بالقلق والحزن، أما « هوكى » فسرعان ما استسلم للنوم .

وظل « توم » و« جو » يتحدّثان برهة ، ثم نام « جو » وظل « توم » مستيقظًا . وبعد فترة من الوقت قام « توم » بخفّة ، فأحضر ورقة شجرة كتب عليها كلامًا ، وتركها فى قبعة « جو » ، ووضع فيها أيضًا أشياءه الثمينة — قطعة طباشير ، وكرة مطاط ، وثلاث صفافير — ثم

انطلق إلى الشاطئ فخاض فى المياه متجهـًا إلى شاطئ بلدتهم . . .

أخذ « توم » يسبح حتى وصل إلى مكان منخفض ، فجذب نفسه إلى أعلى ، ووجد نفسه على الشاطئ ، فجرى والماء يقطر من ملابسه . وبعد الساعة العاشرة بقليل كان قد وصل إلى السور الخلفى لمنزل خالته « بولى » ، فتسلـّق السور ، واقترب من البيت ، وأطل من نافذة غرفة الجلوس . . .

رأى الخالة « بولى » جالسة ، ومعها بنت خالته « مارى » ، وأخوه « سدى » ، ووالدة « جو هاربر » . وكان الجميع جالسين بجوار الفراش . فذهب « توم » إلى الباب ، وأخذ يزيح « المزلاج » فى خفـّة ، وفتح الباب فى حذَر شديد — بقدر ما يستطيع الدخول ، زحفـًا على ركبتيه ، من غير أن يلحظ أحد — ودخل .

وصاحت الخالة « بولى » :

— ما الذى يجعل شعلة القنديل تهتزّ هكذا ؟ أعتقد أن الباب مفتوح ! . . . اذهب وأقفله يا « سدى » !

وكان « توم » قد اختفى تحت السرير فى الوقت المناسب !

وقالت الخالة لوالدة « جو » :

— كما قلت لك ، لم يكن « توم » شريراً ، ولكنه كان شقيـًّا ، فيه شيطنة وعفرتة لا أكثر ، ولكنه كان أطيب ولد فى الدنيا !

ثم استسلمت للبكاء !

وقالت والدة « جو » :

ـ هكذا كان ابني « جو » ، كثير الشيطنة ، ولكنه كان طيبًا محبًا للآخرين ، وكم أنا حزينة لأنني كنت أحيانًا أعامله بقسوة ، مع أنه كان مظلومًا !

وبدأت السيدة « هاربر » تبكي بصوت عال . . .

وقال « سدى » :

ـ لقد أصبح « توم » فجأة أطيب ولد ! . . على أي حال أرجو له كل خير !

فصاحت الخالة « بولى » :

ـ لا تقل كلمة واحدة ضد « توم » ، ولا تقلق نفسك من أجله ، وليحفظه الله بعنايته . أيتها السيدة « هاربر » ، لا أعرف كيف أعيش بدونه! لقد كان يملأ عليّ البيت ، مع أنه كان يعذّبني أحيانًا بعفرتته !

فقالت السيدة « هاربر » ، وكأنها تواسي نفسها وتواسي الخالة « بولى » :

ـ الرب أعطى ، والرب أخذ . . . آه ، لكنني لا أستطيع تحمل فراقه . . . السبت الماضي أطلق حصاة ، أصابت أنفي ، فضربته بقسوة ! سامحني الله !

فقالت الخالة « بولى » :

ـ إنني أشعر بما تشعرين به أيتها السيدة « هاربر » ! فأمس

فقط ، ملأ توم فم القطة بدواء مر، فكادت القطة المسكينة تحطم كل شيء في البيت ، وليسامحني الله ، فقد ضربت الولد المسكين على رأسه . مسكين ! مسكين! يرحمه الله !

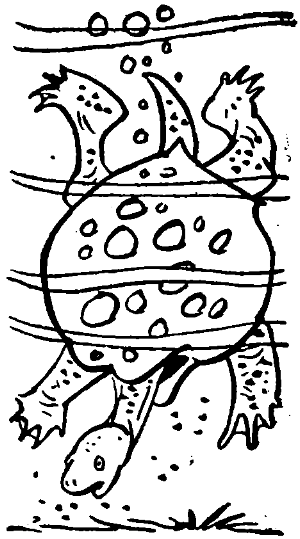
ولم تتحمّل الخالة العجوز هذه الذكريات الأليمة فانهارت ، واستطاع « توم » أن يسمع « ماري » وهي تبكي ، وتذكره بشيء من الخير ، وشعر برغبة قوية في أن يجري ويطوّق خالته بذراعيه من شدّة الفرحة ، ولكنه قاوم هذه الرغبة ، وظلّ ساكنًا حيث هو ، تحت السرير . وظلّ يصغي حتى عرف كل شيء عن حكاية غرقه وهو وزميليه ، وعلم أنه إذا لم تظهر الجثث حتى يوم الأحد فستقام جنازة على أرواحهم في ذلك اليوم !

واستأذنت السيدة « هاربر » ، وغادرت البيت وهي لا تزال تبكي ... أما « سدي » و « ماري » فقد ذهبا إلى الفراش . ثم ركعت الخالة « بولي » وصلّت طويلا طويلا من أجل « توم » ، وهي تبكي .

واضطر « توم » أن يلزم السكون فترة طويلة ، وهو في مخبئه تحت السرير ، حتى بعد أن أوت الخالة إلى فراشها ، لأنها ظلت تتقلب على الفراش وهي تبكي ، وأخيراً استغرقت في نوم عميق ، فتسلّل « توم » من تحت السرير ووقف ينظر إليها ، وقلبه ممتلئ بالشفقة عليها ، وأخرج ورقة الشجر التي كانت معه وكتب عليها « نحن في رحلة » ، ووضعها

بجوار القنديل . ولكن خاطراً خطر له ، فتلكأ قليلا وهو يفكر . وبعد دقيقة من التفكير عاد فأخذ الورقة ووضعها في جيبه . وتسلل إلى الخارج !





٧

تلمس « توم» طريقه إلى القارب الذى يعبر به الأهالى النهر ، وكان يعلم أن الحارس سيكون مستغرقـًا فى النوم . . . وفى جرأة ركب القارب وقاده فى اتجاه الجزيرة ، وعلى بعد ميل من الشاطئ ترك القارب وسبح المسافة الباقية إلى الغابة التى يأوى إليها زميلاه . وكانت الشمس قد طلعت عندما اقترب من المخيّم ، وسمع « جو » يقول :

— أؤكد لك يا « هوكى » أن « توم »

سيعود ، لا بد أنه ذهب إلى البلدة لأمر ما .

فقال « هوكى » :

— لا بأس، المهم أن الأشياء التى تركها ستكون ملكنا، أليس كذلك؟

فرد عليه « جو » قائلا :

— تقريبًا ، وهو يقول فى الورقة التى تركها لنا إن الأشياء تصبح ملكنا إن لم يعد قبل الإفطار ، فلننتظر قليلا .

وصاح « توم » ، وهو يدخل المخيم :

— هأنذا !

وعند الظهر ذهب الأولاد إلى الشاطئ للبحث عن بيض السلاحف الذى تخفيه فى الرمل ، ووجدوا كمية كبيرة منه ، فتناولوا عشاء رائعًا من



البيض المقلى ، وتناولوا إفطارهم من البيض نفسه فى صباح اليوم التالى .

* * *

وبعد الإفطار ذهب الثلاثة يلعبون على الشاطئ ، ويطارد بعضهم بعضًا ، و يتقاذفون بملابسهم . . . ثم ألقوا بأنفسهم فى المياه وهم يتصايحون. وبعد ذلك تصوّروا أنهم يشبهون الهنود الحمر ، بعد أن احمرّت جلودهم من الشمس ، فرسموا دائرة على الرمل ، وأخذوا يرقصون حولها رقصة الهنود ، ثم لعبوا من جديد ألعابًا مختلفة . . . حتى أحسُّوا بالتعب ، فجلسوا على الرمال ساكنين ، وقد عاودهم الشعور بالوحدة ، ولا سيما « جو » الذى أصبح يحنّ إلى البيت !

وضعفت روح « هوكى » المعنوية أيضًا ، ولم يكن « توم » أقلّ من زميليه شوقًا وحنينًا إلى البيت ، لكنه اجتهد لإخفاء مشاعره ، وأخذ يفكر فى طريقة تعيد الحماسة إلى صديقيه ، فقرر أن يبوح لهما بسرّه الكبير ، وكيف أن القرية كلها حزينة عليهم . . . ولكنه فى النهاية لم يقل شيئًا ، بل قال وهو يتظاهر بالفرح :

— أراهن أن هذه الجزيرة كانت مأوَى للقراصنة فى وقت من الأوقات . لا بدّ لنا من استكشافها مرة ثانية ، فقد نعثر على كنز مخبوء فيها ، هه ، ما رأيكما ؟

ولم يجب أحد ! . . . وحاول « توم » إغراءهما بهذا الأسلوب مرتين ، ولكنه أخفق . . . أما « جو » فأخذ ينكت الرمل بعصا ، وقد

بدا عليه الحزن ، وأخيراً قال :

– يجب أن ننهى هذه المغامرة ، أنا أريد العودة إلى البيت ، فنحن فى عزلة تامة فى هذا المكان !

فحاول « توم » أن يقنع « جو » بالبقاء فى الجزيرة ، قائلا له :

– إنك لن تجد مكاناً تسبح فيه بحرية ، وتصطاد السمك ، كما نفعل هنا !

فأجاب « جو » فى كآبة :

– لا تهمنى السباحة ، ولا صيد السمك . . . إننى أريد أن أعود إلى البيت .

توم : أنت تريد العودة إلى أمك ، أيها الطفل المدلل !

جو : نعم ! أريد أن أرى أمى .

وقام « جو » متجهاً إلى الشاطئ ، بدون أن يودّع زميليه . . . وخفق قلب « توم » وهو يراه يرحل . . . ولما نظر إلى « هوكى » وجده ينظر إلى الأرض ، ثم قال « هوكى » :

– أنا أيضاً أريد العودة يا « توم » ، ومن الأفضل أن تأتى أنت أيضاً معنا ، فسوف تشعر بالوحدة إذا بقيت هنا !

فقال « توم » فى عناد :

– لن أعود ، ولتذهب أنت أيضاً !

وأخذ « هوكى » يجمع ثيابه المبعثرة ، ثم خاض فى الماء فى اتجاه

« جو » . فى حين وقف « توم » ينظر فى أسى إلى الولدين وهما يبتعدان ، وكان يتمنى لو توقفا ، ولكنهما واصلا السير فى بطء . . . وأحس « توم » بعناده يلين ، وكبريائه تخونه . فصاح خلف زميليه :

— انتظرا ! انتظرا ! عندى شىء أريد أن أقوله لكما !

توقف الولدان ، واستدارا ، فأسرع « توم » إليهما . . . فلما اقترب منهما ، بدأ حديثه بصوت متعثر ، فقص عليهما مغامرته فى تلك الليلة التى زار فيها القرية فى أثناء نومهما . . . وظل الولدان يستمعان إليه بدون اكتراث . . . ولكن عندما قال لهما إن القرية كلها تبحث عنهم ، وإن والدة « جو » كانت تبكى بحرقة . استخفهما الفرح . وأخذا يقفزان فى الماء . فقد أحسا أنهما أصبحا أبطالا !





٨

وفى صباح يوم الأحد ، بدأ جرس كنيسة (سانت بتسبرج) يرسل دقاته الحزينة ، وبدأ القرويون يتّجهون إلى الكنيسة ، وهم يتحدّثون فى أسى عن حادث الأولاد الثلاثة الذين غرقوا . فقد كانت القرية كلها تعتقد أن « توم » و « هوكى » و « جو » قد غرقوا !

وامتلأت الكنيسة بعدد كبير لم تشهده من قبل ، ودخلت الخالة « بولى » تتبعها « مارى »

و « سدى » ، ثم دخلت أسرة « جو هاربر » ، وكلهم فى الملابس السوداء .

وألقى القسيس الصلاة بين التأوهات والدموع ، ثم أخذ يلقى موعظة تحدّث فيها عن الأولاد المفقودين ، وأخذ يعدّد صفاتهم الحميدة ، ويرسم صورة المستقبل الذى كان ينتظرهم . . . وزاد تأثر الحاضرين ، فاستسلموا للبكاء ، وبكى القسيس نفسه وهو فوق منبره .

وسمع الحاضرون أصواتًا تأتى من ناحية باب الكنيسة ، ولكن أحداً لم يلتفت إليها . . . ثم فتح الباب ، ورفع القسيس عينيه المملوءتين بالدموع ، ووقف ينظر أمامه وقد أصابته دهشة كبيرة ، ونظر واحد من الحاضرين إلى حيث نظر القسيس ، ثم تبعه الآخرون ، ثم وقف جميع الحاضرين مشدوهين ، فقد كان الأولاد الثلاثة « الميتون » يسيرون فى ممشى الكنيسة ، وفى مقدمتهم « توم » ، يتبعه « جو » ثم « هوكى » يتعثر خجلا فى ملابسه المهلهلة !

لم تتمالك الخالة « بولى » نفسها ، فألقت بجسمها على « توم » ، وفعلت السيدة « هاربر » الشىء نفسه مع « جو » ، وتناثرت القبلات والدموع ، على حين وقف ، «هوكى» جانبًا لا يعرف كيف يدارى خجله ، وقد أخذت تتجه إليه العيون ، خالية من أى ترحيب !

وبدأ « هوكى » ينسحب فى هدوء ، ولكن « توم » لمحه فأسرع إليه وأمسكه ، قائلا لخالته :

ـ يا خالتى « بولى » ، هذا ليس من العدل فى شىء ، لا بد أن يرحب أحد « بهوكى » ، ويظهر سروره برؤيته وعودته !

ـ طبعًا ، طبعًا ، إننى مسرورة جدًّا لرؤية هذا الولد اليتيم المسكين . . .

وغمرت الخالة الطيبة وجه الولد المسكين بقبلاتها ، مما زاد فى ارتباكه .

وفجأة صاح القسيس بأعلى صوته :

ـ صلُّوا شكراً لله على حسناته من أجلنا ؟

وانهمك الحاضرون جميعًا فى الصلاة ، والتراتيل التى تعبر عن الشكر والامتنان .

وكان « توم » ينظر حوله ، ويعترف ـ بينه وبين نفسه ـ أن هذه اللحظات هى أروع لحظات حياته !

وعندما انتهى كل شىء ، وعاد « توم » مع خالته إلى البيت ، قالت له الخالة :

ـ كيف طاوعك قلبك على أن تتركنى أتعذب يا « توم » ؟ يالك من ولد قاس على خالتك التى تحبك ؟ !

فأجاب « توم » ، فى لهجة من يعترف بذنبه :

ـ آسف جدًّا يا خالتى .

* * *

عندما عاد « توم » إلى المدرسة بعد مغامرة الجزيرة، أحسّ أنه أصبح مشهوراً ، حتى إنه لم يهتم كثيراً بمحاولة « بيكى » لَفْت نظره إليها . وقد غاظت هذه الشهرة زميله « ألفريد تمبل » ، فدخل الفصل فى غياب التلاميذ ، وسكب الحبر على كتاب « توم » ، ليعاقبه المدرس ! . . . وبالمصادفة شاهدت « بيكى » « ألفريد » وهو يقوم بهذه المؤامرة ، ولكنها لم تبلغ « توم » ، ثم دخلت هى الفصل وأمسكت بكتاب المدرس ، وأخذت تقلب فيه . وبينما هى مستغرقة فى التفرج على الصور دخل «توم» ، ففوجئت « بيكى » ، وحاولت إخفاء الكتاب ، ولسوء حظها تمزقت إحدى صفحاته ، فأسرعت تضع الكتاب فى درج المدرس وهى غاضبة ، ثم انفجرت باكية وصاحت فى « توم » :

— طبعاً سوف تقول للمدرس، ولكن هذا لا يهمنى ، لا يهمنى !

ثم انطلقت خارجة ، وتركت « توم » ذاهلا .

وعندما بدأت الحصة ، شاهد المدرس كتاب « توم » الملوّث بالحبر . وبرغم أن «توم» أنكر أنه لوّث الكتاب فإن المدرس عاقبه بشدّة، ولم تتدخل « بيكى » لإنقاذه، فقد كانت تظنّ أنه سيقول للمدرس إنها مزّقت كتابه . وعندما اكتشف المدرس هذا التمزيق ، أخذ يسأل التلاميذ واحداً واحداً فأنكروا جميعاً ، ثم بدأ يسأل التلميذات ، فأنكرن



بدورهن ، حتى وقف المدرس أمام « بيكى » وقال :

— يا « بيكى ثاتشر » : هل أنت التى مزّقت الكتاب ؟

وفى هذه اللحظة قفز « توم » واقفاً وصاح :

— بل أنا الذى مزّقته !

وتلقى « توم » « علقة » أخرى ، عن عمل آخر لم يرتكبه ! ... على حين أخذت « بيكى » تنظر إليه فى شكر وامتنان !

* * *

ومضت أيام ... وتحددت جلسة لمحاكمة « موف بوتر » بتهمة قتل الدكتور « روبنسون » . وأحس « توم » بضميره يؤنبه ، فأسرع لمقابلة « هوكى » وقال له :

— إننى أعتقد أن « موف » سيشنق ، وأنا أشعر بالأسف عليه ، فهو رجل طيب ، وكثيراً ما كان يصلح طائراتى الورق ، ويثبت لى الصنارة فى الخيط .

فقال « هوكى » بدوره :

— لقد أعطانى « موف » مرة نصف سمكة ، مع أن السمكة كلها لم تكن تكفى طعامه !

وبعد حديث طويل ، ذهب الولدان إلى السجن الذى كان « موف بوتر » محبوساً فيه ، وألقيا إليه من النافذة الضيقة بعض علب السجائر وعيدان الكبريت . وعندما شاهدهما « بوتر » صاح :

ـ يا لكما من ولدين طيبين ! . بل أنتما أطيب من فى هذا البلد ! تعاليا أسلّم عليكما من خلال القضبان ، إن أيديكما صغيرة وضعيفة ، ولكنها ساعدت « موف بوتر » بقدر ما تستطيع !

وفى اليوم التالى جاء أهل البلدة كلهم ليشهدوا المحاكمة . وأحضر « بوتر » إلى قاعة المحكمة شاحب الوجه ، يائساً ، وفى يديه القيود الحديدية . وأجلس فى مكان ظاهر ليراه الحاضرون ، وجاء « أنجون جو » القاتل الحقيقى ، وجلس فى الصف الأمامى ، فى هدوء بالغ !

وبدأت المحكمة بسماع الشهود ، الذين قالوا إنهم كانوا يشاهدون الخنجر الذى قتل به الطبيب مع « موف بوتر » ، وإنهم شاهدوا « بوتر » يغتسل فى ساعة مبكرة من صباح يوم الجريمة !

ولم يتكلم محامى « بوتر » مطلقاً ، وكأنه كان يائساً من إنقاذ المتهم !

ثم وقف ممثل النيابة ، وطالب بإعدام المتهم ، استناداً إلى القرائن الموجودة ضده ! . . . وبدا أن مصير « بوتر » أصبح منتهياً ، وأنه سيشنق لامحالة . . ! فتأثر الرجال ، وبكت النساء . . . وفجأة وقف محامى « بوتر » وقال لكاتب المحكمة :

ــ أرجو أن تستدعى « توماس سوير » للشهادة !

وبدت الدهشة على وجوه الجميع ، فما دخل « توم » فى هذه الجريمة ؟

وعندما جلس « توم » فى مكان الشاهد ، سأله المحامى :

— أين كنت يا « توماس سوير » فى يوم ١٧ يونية ، حوالى منتصف الليل ؟

ونظر « توم » إلى وجه « بوتر » اليائس ، ثم إلى وجه « أنجون جو » القاسى ، وتمالك نفسه وقال :

— فى المقبرة !

ونظر « أنجون جو » نظرة صارمة إلى « توم » ، وعاد القاضى يسأل « توم » :

القاضى : هل كنت قريباً من قبر « هورى وليامز » ؟

توم : نعم يا سيدى .

القاضى : ارفع صوتك قليلا . إلى أى حدّ كنت قريباً من القبر ؟

توم : قريباً منه كما أنا قريب منك .

القاضى : هل كنت مختبئاً ؟

توم : نعم كنت مختبئاً !

القاضى : أين ؟

توم : خلف شجيرات على حافة القبر .

وأفلتت صيحة خافتة من« أنجون جو» . . . واستمر القاضى يسأل « توم » :

القاضى : هل كان معك أحد ؟

توم : نعم ، يا سيدى ، كنت مع . . .

القاضى : انتظر ، لا داعى لذكر اسم زميلك ، سنحضره فى الوقت المناسب . هل كنت تحمل شيئًا معك هناك ؟

وتردّد « توم » قليلا ، وبدت عليه الحيرة .

القاضى : تكلم يا بنى . ماذا كان معك هناك ؟

توم : قطة ، قطة ميتة فقط !

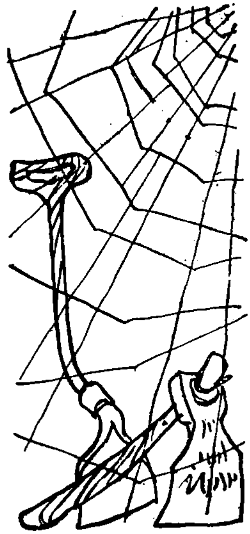
وتعالت الضحكات من الحاضرين .

— سنحضر هيكل هذه القطة . والآن يا بنى ، قل لنا كلّ ما حدث أمامك ، لا تترك شيئًا ، ولا تخف !

وبدأ توم يسرد ما حدث . . فأنصت الجميع ، ولم يعد يسمع إلا صوت « توم » وهو يتحدث ، والجميع ينصتون باهتمام ، حتى لا تفوتهم كلمة مما يقوله ! . . . وبلغ التوتر أقصاه عند ما قال « توم » :

— . . . وعندما رفع الدكتور اللوحة الخشبية وسقط « موف بوتر » ، قفز « أنجون جو » وفى يده الخنجر ، و . . .

وقبل أن يكمل « توم » جملته — وفى سرعة البرق — قفز « أنجون جو » من نافذة المحكمة ، شاقًّا طريقه وسط الذين وقفوا لمنعه من الفرار ، واختفى فى لمح البصر !



٩

وأصبح « توم » بطلا فى نظر القرية ، وأصبحت أيامه أيامًا مجيدة ! . . . ولكن لياليه كانت مفزعة ، فقد ملأ « أنجون جو » أحلامه ، وعانى « هوكى » المسكين من الرعب مثلما عانى « توم » . وأعلنت السلطات عن مكافأة للقبض على « أنجون جو » . . . وبحثت عنه فى كل مكان ، ولكن بدون فائدة !

وتأكد « توم » أنه لن يعرف الطمأنينة حتى

يقبض على « أنجون جو » ! . . . ولكن الأيام استطاعت أن تعيد الهدوء إلى نفسه ، تدريجًا . وبعد أسابيع عاد إلى حالته الطبيعية .

والتقى « توم » ، « بهوكى » ذات يوم ، وقرر الاثنان البحث عن كنز مدفون كانت القرية تتحدّث عنه ، ولكن أحداً لم يكن يعرف مكانه بالضبط . وأخذ الصديقان يبحثان عنه فى كل مكان ، يومًا بعد يوم ، وليلة بعد ليلة ، ولكن من غير نتيجة . . . وأخيراً قرر « توم » و « هوكى » أن يبحثا عنه فى البيت المسكون ، وهو بيت مهجور يظنّ أهل القرية أن الأرواح الشريرة تعيش فيه !

وبعد ظهر أول أيام الأسبوع ، وصل الولدان إلى هذا البيت الغريب ، ومعهما فأس ومجرفة . وكان السكون الغامض المخيف يحيط بالبيت ، فأخذا ينظران داخله فى حذَر ، فرأيا الأعشاب تنمو على أرضه المهجورة المتربة ، وشاهدا فى الداخل مدفأة قديمة ، ونوافذ عارية ، وسلالم متهدمة ، وكان نسيج العنكبوت يغطى كل شىء .

دخل الولدان البيت فى شىء من الخوف ، وأخذا يتلفتان حولهما ، ثم ازدادت جرأتهما ، فألقيا أدواتهما فى أحد الأركان ، وصعدا السلم . وجد الصديقان الطابق الأعلى متهدمًا كالطابق الأسفل تمامًا . ورأيا دولابًا كأنه يحوى سرا ، لكن عندما فتّشاه لم يجدا فيه شيئًا . وكانا على وشك أن ينزلا ، ليبدآ الحفر ، عندما همس « توم » :

— هس !

فسأله « هوكى » فى همس :

ــ ماذا ؟

ــ اسكت أيها الغبى ، إنى أسمع صوت أقدام تقترب من الباب !

وتمدّد الولدان على الأرض ، وعيونهما تنظر من خلال الثقوب ، وقد استولى عليهما الخوف . ودخل رجلان ، كان أحدهما إسبانياً يعرفه الولدان ، وهو رجل عرف عنه أنه أصم أبكم ، وكان قد تردّد مرتين على القرية فى المدة الأخيرة ، له لحية بيضاء طويلة ، ويتدلّى شعره من تحت



قبعته ، وقد وضع على إحدى عينيه عصابة سوداء . أما الرجل الآخر فكان له مظهر رجل شرير ، وهو يرتدى ملابس ممزقة ، ولم يكن الولدان يعرفانه . وجلس الرجلان على الأرض فى مواجهة الباب .

وقال الرجل الممزق الثياب :

— كلا ، لا أحب هذا ، فإنه عمل خطر !

وصاح الإسبانى الذى كان معروفًا بالصمم والبكم ، مما أدهش الولدين :

— يا لك من جبان !

وعرف الولدان من صوت الإسبانى الذى كان يتظاهر بالصمم والبكم أنه هو نفسه « أنجون جو » — القاتل الهارب ! — فدبّ الخوف والفزع فى قلبيهما !

وأخرج الرجلان شيئًا من الطعام ، وانهمكا فى الأكل . وبعد فترة طويلة من الصمت ، قال « أنجون جو » :

— اسمع ، عد إلى أعلى النهر ، وانتظرنى هناك ، وسنقوم بالعمل الخطر بعد أن أقوم بجولة استطلاعية ، وأفكر فى الأمر مرة أخرى . وبعدها نهرب إلى « تكساس » .

وفكر قليلا ، ثم استطرد يقول :

— ماذا نفعل بالصرّة التى معنا ؟

وأجابه الآخر :

– لا أعرف ، نتركها هنا كما نفعل دائمًا ، لا داعى لأخذها معنا حين نذهب إلى الجنوب ، فليس فيها غير ٦٥٠ قطعة من الفضة .

وقال « أنجون جو » :

– هذا صحيح ، ولكنها أحسن من لا شىء . هيا ندفنها ، هيا نحفر حفرة عميقة لندفنها فيها !

وقال الآخر :

– فكرة صائبة .

وعبر الرجل الحجرة ، وانحنى إلى الأرض ، وخلع بضع بلاطات ، وأخرج حقيبة كانت تسمع منها شخشخة مثل شخشخة النقود الفضية . وأخرج منها عشرين أو ثلاثين دولاراً لنفسه ، ومثلها « لأنجون جو » ، ثم سلم الحقيبة « لأنجون » الذى كان راكعًا على ركبتيه فى الركن الآخر ، وهو يحفر حفرة لدفن الحقيبة .

ونسى الولدان خوفهما بعض الوقت ، وهما يراقبان ما يجرى أمامهما ، وكانا يراقبان كل حركة فى اهتمام وشغف – فقد ابتسم لهما الحظ فجأة ، وساق لهما ثروة تقدر بستمائة دولار ، وهى تكفى لجعل اثنى عشر ولداً من الأغنياء – وأخذ الولدان يتبادلان نظرات ذات معنى ، من وقت لآخر . وكانت كل نظرة تقول :

– ألست سعيداً بوجودنا هنا الآن ؟

واصطدمت سكين « أنجون » فى شىء صلب ، فقال :

ـ ما هذا ؟ . . إنه صندوق ! . . هيا نرفعه معًا لنرى ما فيه . انتظر لحظة . لقد وقعت على فتحة فى الصندوق !

ومد يده من خلال الفتحة ، ثم أخرجها وصاح :

ـ ياه ! إنه ممتلىء بالنقود !

وفحص الرجلان النقود التى ملأت يدى « أنجون » ، فإذا هى من الذهب !

وقال زميل « أنجون جو » :

ـ هيا نخرجه بسرعة ، لقد رأيت مجرفة قديمة بين الأعشاب فى الركن . لقد رأيتها منذ دقيقة !

وجرى الرجل فأحضر فأس الولدين ومجرفتهما ، وتناول « أنجون » الفأس ، وفحصها ، ثم هز رأسه ، وتمتم بشىء ، ثم بدأ العمل . وبعد قليل أزاح الرجلان التراب من فوق الصندوق ، ولم يكن صندوقًا كبيراً ، وكانت تحيط به أطواق من الصلب البالى .

وصاح « أنجون جو » :

ـ فى الصندوق آلاف الدولارات يا « بارد » !

ثم أردف قائلا :

ـ كانوا يقولون دائمًا إن عصابة « موريل » زارت هذا المكان فى صيف أحد السنين ، ولا بد أنها تركت هذا الصندوق هنا !

فقال له « بارد » بارتياح :

— فى هذه الحالة لا داعى لأن نقوم بالمغامرة التى اتفقنا عليها !

فقطب « أنجون جو » ما بين حاجبيه وقال :

— إنك لا تعرفنى . . . إننى لن أقوم بهذه المغامرة بقصد السرقة ، ولكن بدافع الانتقام !

فسأله « بارد » :

— إذن ماذا نفعل بهذه الثروة ؟ هل ندفنها ثانية ؟

فأجاب « جو » :

— لا ، فهذه الفأس عليها تراب جديد ، فلا بد أن إنسانـًا ما كان هنا . سننقل الصندوق إلى مغارتى .

— هل تعنى رقم واحد ؟

— لا ، بل رقم اثنين !

ونهض « أنجون جو » وقال :

— ترى من أحضر هذه الفأس إلى هنا ؟ أتعتقد أن أصحابها موجودون فى الطابق العلوى الآن ؟

وفزع الولدان !

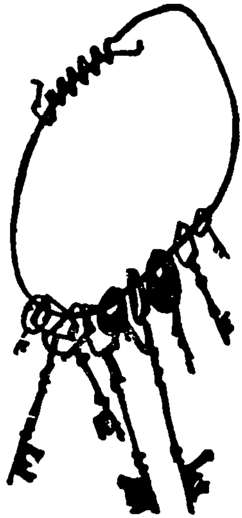
ووضع « أنجون جو » يده على مقبض خنجره ، ووقف لحظة متردداً ثم استدار ناحية السلم ، وبدأ يصعده . وكان الولدان على وشك أن يقفزا داخل الخزانة ، عندما سمعا صوت خشب قديم يتكسر ، ثم انهار السلم ، ووقع « أنجون جو » على الأرض وسط الحطام . واستجمع نفسه وهو

يسب ويلعن ، فقال زميله :

— ما الداعى لكل هذا ؟ . . إذا كان هنا أى إنسان ، فليتبعنا ، وسيرى ماذا نفعل به ! . . . إن الظلام سيهبط بعد ربع ساعة ، وعندئذ دعهم يتبعونا إذا شاءوا !

وبعد قليل خرج الرجلان من المنزل أثناء الغروب ، واتجها صوب النهر وهما يحملان صندوقهما الثمين !





١٠

نهض « توم » و « هوكى » وهما يشعران بالتعب والإرهاق . ولم يفكرا طبعـًا فى ملاحقة الشريرين توًّا ، فيكفى أنهما نجوا بحياتهما . وسار الولدان صوب البلدة عن طريق التل ، وهما يشعران بالغيظ والضيق . الغيظ من الحظ السيئ الذى جعلهما يتركان أدواتهما حيث اكتشفها المجرمان ، والضيق لضياع هذه الثروة منهما !

وارتعدا عندما تذكرا ما عزم عليه «أنجون‌جو»

من الانتقام . ترى هل كان يعنى الانتقام من « توم »، لأنه شهد ضده فى المحكمة ؟ على أى حال عزم الولدان على مراقبة « انجون جو » ، وملاحقته حتى المخبأ الذى سيخفى فيه الصندوق !

وفى صباح اليوم التالى ، استيقظ « توم » — بعد ليلة ملأى بالأحلام المزعجة — وتناول إفطاره بسرعة ، ثم أسرع للبحث عن « هوكى » . وجلس الولدان يبحثان معـًا المغامرة المقبلة ، وبخاصة ما يتعلق بمخبأ الكنز الذى سماه « أنجون جو » : المخبأ رقم ٢ .

واتفقا على أن يبحثا فى الحانات عن كل غرفة تحمل رقم ٢ .

وفى الحال ذهب « توم » إلى البلدة ، فوجد فى الحانة الأولى أن الغرفة رقم ٢ يشغلها محام شاب .

وفى الحانة الثانية وجد أن الغرفة رقم ٢ يحوطها الغموض . وقال ابن صاحب الحانة « لتوم » إن الغرفة مقفلة دائمًا ، وإنه لم ير أحداً يدخلها أويخرج منها إلاأثناء الليل . وهو لا يعرف السبب ، وقد لاحظ أن الغرفة كانت مضاءة فى الليلة الماضية .

وعاد « توم » إلى « هوكى » وأخبره بما سمع ، وقال :

— أعتقد أن هذه الغرفة هى المقصودة !

فقال له « هوكى » :

— محتمل يا « توم »، والآن ماذا تنوى أن تفعل ؟

اتفق « توم » و « هوكى » على غزو الغرفة رقم ٢ فى الحانة : فقال

« توم » إنه سيحضر كل مفاتيح خالته ليجربها فى فتح الباب ، وطلب من « هوكى » أن يحضر هو الآخركل المفاتيح التى يمكنه الحصول عليها .

وافترق الصديقان على اتفاق أن ينفذا الخطة فى أول ليلة لا يظهر فيها القمر ، حتى يتخذا من الظلام ستاراً لدخول الغرفة . ومضت ليال مقمرة ، ثم جاءت ليلة غاب فيها القمر ، فأسرع « توم » بالخروج من بيت خالته ومعه مصباح من الصفيح ، والتقى بـ « هوكى » عند الحانة .

وعندما أطفئ آخر نور فى الحانة ، تسلل « توم » وحده إليها لتفتيش الغرفة رقم ٢ ، ووقف « هوكى » يرقب الطريق . ومضى الوقت و « هوكى » قلق على صديقه ، يخشى أن يكون قد أصابه مكروه . وبعد فترة طويلة ظهر « توم » وهو يجرى ويصيح :

– اجر يا « هوكى » ! . . . اجر بأقصى ما تستطيع ، لتنجو بحياتك !

انطلق « هوكى » يجرى كالصاروخ ، وخلفه « توم » ، ولم يتوقف الولدان إلا عند حظيرة الماشية المهجورة التى تقع خارج قريتهما . وما كادا يدخلانها حتى انطلق دوىّ الرعد فى السماء ، ثم انهمر المطر غزيراً .

وقف « توم » لاهث الأنفاس ، يصف لـ « هوكى » ما حدث :

– لقد كان كل شىء فظيعاً يا « هوكى » ، لقد جربت مفتاحين



بكل ما أملك من خفة يد ، ولكنهما لم يدورا فى القفل ، وبدا لى أنهما أحدثا صوتاً عالياً ، فجزعت . وبدون أن أدرى ما أنا فاعل ، مددت يدى وأمسكت بمقبض الباب . . . فانفتح الباب بسهولة – إذ لم يكن مقفلا بأى قفل – ودخلت بهدوء ، ونظرت أمامى ، فرأيت الهول الأكبر : رأيت « أنجون جو » مستلقيا على أرض الغرفة غارقاً فى النوم ، فأسرعت أجرى .

وسأل « هوكى » :

– وهل استيقظ " أنجون جو " ؟ وهل رأيت الصندوق ؟

فأجابه "توم" :

— كلا ، لم يستيقظ ، فقد كان سكران . . . ولم أر الصندوق ، فقد كانت الغرفة حافلة بالزجاجات وبراميل الخمر ، ولا بد أن بكل حانة غرفة مثلها .

وبعد مناقشة ، اتفق الصديقان على ألا يذهبا إلى الغرفة مرة أخرى ، إلا إذا رأيا « أنجون جو » يغادرها ، حتى لا يقعا فى يده ! . . . وكان على «هوكى» أن يقوم بالمراقبة ليلا ، وينام نهاراً ، فإذا رأى « أنجون جو» يغادر الغرفة فعليه أن يسرع إلى « توم » ويطلق صفيراً تحت نافذة غرفته .

وفى الصباح علم « توم » أن « بيكى » قررت القيام برحلة فى اليوم التالى مع بنات وأولاد آخرين إلى غابة بها كهف ومغارات تستحق المشاهدة ، فأسرع يشترك فى الرحلة .

* * *

وفى صباح اليوم التالى ، وحوالى الساعة العاشرة ، تجمع الأولاد والبنات فى بيت القاضى « ثاتشر » — والد « بيكى » — وأخذت السيدة « ثاتشر » تنصح ابنتها « بيكى » ، فقالت لها :

— إنكم لن تعودوا إلا متأخرين ، ومن الأفضل بعد عودتك أن تقضى الليلة مع بعض زميلاتك اللواتى يسكن بجوار مرسى القوارب .

فقالت « بيكى » :

— إذن سأقضى الليلة عند « سوزى هاربر » .

وفى الحال بدأ جميع الأولاد يحملون سلال الطعام ، فى طريقهم إلى مرسى الزورق البخارى . وعندما اكتمل عددهم بدأت الرحلة .

وأخذ « توم » يحدث « بيكى » قائلا :

– بعد عودتنا من الرحلة تعالى نتسلق التل ، ونذهب إلى بيت الأرملة « دوجلاس » ، فهى تجيد صناعة « الآيس كريم » ، وسترحب بنا .

فقالت « بيكى » :

– فكرة رائعة يا « توم » ، ولكن ماذا تقول والدتى ؟

ورد « توم » فى اقتناع :

– لن تقول شيئًا طبعًا ، إن كل ما يهمها هو أن تقضى الليلة فى مكان أمين ، وأراهن أنها كانت ستنصحك بالذهاب إلى الأرملة « دوجلاس » ، لو خطرت لها هذه الفكرة !

وأمام هذا الرأى المعقول ، وافقت « بيكى » . وقرر الاثنان إخفاء برنامج هذه الزيارة عن بقية الأولاد .

وفجأة خطر لـ « توم » أن « هوكى » قد يحضر هذه الليلة إلى منزل الخالة « بولى » ليذهبا معًا لإحضار صندوق الذهب . . . وأخذ القلق يستولى عليه ، ولكنه قال لنفسه :

– هذا أمر بعيد الاحتمال ، فإن « هوكى » لم يظهر فى الليلة الماضية ، ولعله لن يحضر هذه الليلة أيضًا .

وهكذا قرر « توم » أن يستمتع برحلته ، وأن ينسى كل شىء عن

صندوق الذهب فى تلك الليلة !

* * *

بدأ « هوكى » حراسته فى الوقت الذى أقلع فيه الزورق البخارى ، عائداً بالأولاد من رحلتهم . وكانت الليلة مظلمة وغائمة . وجاءت الساعة العاشرة ، ثم الحادية عشرة ، وأطفئت أنوار الحانة ، ونامت القرية .

وانتظر « هوكى » وقتاً ، بدا له طويلا للغاية ، بدون أن يحدث شىء ! . . وفجأة ، التقطت أذناه صوتاً ، وفى قفزة واحدة كان « هوكى » منزوياً وراء ركن مخزن الطوب . . . وفى اللحظة التالية مر به رجلان ، وبدا أن واحداً منهما يحمل شيئاً تحت إبطه . لا بد أنه صندوق الكنز . وحدث « هوكى » نفسه : يجب استدعاء « توم » فوراً ، فالرجلان سيذهبان بالصندوق ، ولن نعثر عليهما مطلقاً بعد الآن !

وتسلل « هوكى » خلفهما ، محتفظاً بمسافة بينه وبينهما — حتى لا يشعرا به — وخرج الرجلان خارج القرية ، ثم أخذا الطريق الذى يؤدى إلى تل « كارديف » . وصعدا التل حتى وصلا إلى قمته . . . وعند القمة سارا فى ممر تحجبه الأعشاب الطويلة ، وسرعان ما اختفيا عن الأنظار !

وأسرع « هوكى » الخطى ليقرب المسافة بينه وبين اللصين ، وكان يرهف أذنيه ليسمع وقع خطواتهما . وبعد فترة من السير ، اكتشف « هوكى » أنهما على بعد بضع خطوات من الطريق الذى يؤدى إلى أرض

السيدة « دوجلاس » . وسمع « هوكى » صوت « أنجون جو » يقول :

– لعنة الله عليها ! يبدو أن معها ضيوفًا ، فبيتها لا يزال مضاء، مع أن الوقت متأخر !

وردّ عليه زميله قائلا :

– إننى لا أرى أحداً .

وأدرك « هوكى » فى الحال سرّ الانتقام الذى كان « أنجون جو » يتكلم عنه فى البيت المهجور . وانتابت قلب « هوكى » قشعريرة باردة !

أتراهما ذاهبان لقتل السيدة « دوجلاس » ؟

وقال « أنجون جو » :

– دقق النظر جيداً . ألا ترى أحداً ؟

وأجابه زميله :

– نعم ، يوجد بالفعل بعض الناس فى البيت ، من رأيى التخلى عن هذه المهمة الآن !

فقال « أنجون جو » :

– أأتخلى عنها وأنا راحل عن هذه البلدة إلى الأبد ؟ كلا . سوف أنتقم ، فقد حبسنى زوجها بتهمة التشرد ، وجلدنى أمام السجن كما يجلد الحصان ! . . . سوف أنتقم منها ، وقد أحضرتك معى لتساعدنى ،

وسأتركك تستولى على حاجياتها !

فقال له زميله :

— حسناً ، ما دمت مصرا على هذا فلنسرع .

— سننتظر حتى يخرج الزوار وتطفأ الأنوار ، ولا داعى للعجلة !

وكان « هوكى » يستمع إلى هذا الحوار وقد أمسك أنفاسه ، ثم خطا إلى الوراء فى حذر شديد ، واستدار . . . وعندما شعر أنه أصبح فى أمان ، أطلق ساقيه للريح منحدراً إلى أسفل التل ، حتى وصل إلى أقرب بيت صادفه ، وكان بيت أسرة « ويلشمان » ، فأخذ يدق بابه بكل قوة . وسرعان ما برز رأس « ويلشمان » ، ورأى « هوكى » ابنيه من النافذة وهما يصيحان :

— من هناك ؟ من يدق الباب ؟ ماذا تريد ؟

— أنا « هكلبيرى فن » ، أدخلونى بسرعة !

فقال الأب :

— إنه « هكلبيرى فن » فعلا ، وهو ليس من الأشخاص المرغوب فيهم ، ولكن أدخلاه ، لنرى ماذا يريد .

وكان أول شيء قاله « هوكى » عندما دخل :

— أرجوكم ألا تقولوا مطلقاً إننى أبلغتكم ، أرجوكم ، وإلا قتلت !

وأخذ « هوكى » يتحدث إلى أسرة « ويلشمان » وهو لاهث الأنفاس :



١١

وبعد ثلاث دقائق كان « ويلشمان » وولداه يصعدون التل وقد تسلحوا جميعاً بالمسدسات والبنادق ، ووصلوا إلى الممر الذى تغطيه الأعشاب ، وهم يمشون على أطراف أصابعهم ، وفى أيديهم السلاح ـ استعداداً لإطلاق النار ـ وكان « هوكى » يرشدهم ، ولكن عندما اقتربوا من المكان الذى ترك فيه المجرمين منذ قليل ، تركهم « هوكى » يتقدمون ، واختبأ خلف صخرة

– إن السيدة « دوجلاس » تعطف عليّ فى بعض الأحيان ، وأريد أن أقول لكم شيئًا ، وسأقوله إذا وعدتمونى بألا تقولوا إننى الذى أبلغتكم !

وصاح « ويلشمان » العجوز :

– يبدو أن الولد سيبلغنا شيئًا خطيراً ، وإلاّ ما اضطرب هكذا . . اطمئن يا بنى ، وقل لنا كل شىء !





كبيرة ، وارهف أذنيه . ومرت فترة سكون . . وفجأة دوى صوت الرصاص ، وانطلقت صيحة عالية . . .

ولم ينتظر « هوكى » حتى يعرف ما حدث بالتفصيل ، فقد قفز : وانحدر إلى أسفل التل فى سرعة عظيمة !

* * *

وفى صباح اليوم التالى ، تناول « هوكى » طعام الإفطار على مائدة « ويلشمان » ، وعرف كل ما حدث : فقد فر المجرمان ناجيين بحياتيهما ، وتركا خلفهما حزمة فيها الأدوات التى كانا ينويان استعمالها فى الجريمة . . . وشعر « هوكى » بالارتياح عندما علم بفرار المجرمين ، والعثور على الأدوات التى كانا سوف يستخدمانها فى جريمتهما المتوقعة .

واخترع « هوكى » قصة تفسر سبب تعقبه لهذين المجرمين ، ولكن لسانه خانه ، وقال إن أحد المجرمين هو فى الحقيقة « أنجون جو » المجرم الهارب ! . . . ولم يستقر « هوكى » حتى وعده « ويلشمان » وولداه بأنهم لن ينطقوا لأحد بحرف عن هذا الجزء من القصة !

ولما انتهى الجميع من تناول الإفطار ، سمعت دقات على الباب ، ودخل عدد من الرجال والنساء بينهم السيدة « دوجلاس » . وأسرع « هوكى » بالاختفاء فى الوقت المناسب !

وعندما أخذت السيدة « دوجلاس » تشكر « ويلشمان » ، قال لها :

– لا داعى لهذا الشكر يا سيدتى ، فهناك إنسان أحق بهذا الشكر منى ومن ولدىّ ، ولولاه ما كنا ذهبنا إلى أرضك ، ومنعنا الجريمة فى الوقت المناسب ، ولكنه للأسف يرفض إذاعة اسمه !

وقد أثار كلام « ويلشمان » مزيداً من حب الاستطلاع ، ولكنه لم يزد حرفًا واحداً على ما قال ، برغم أنه كان يعيد القصة على كل زائر جديد . وكانت هذه الحادثة مثار الأحاديث فى الكنيسة فى الصباح ، وبدا أنه لا موضوع يستحق الكلام أكثر منها . ولكن بعد انتهاء الموعظة ، وقفت السيدة « ثاتشر » عند الصف التى تجلس فيه المسز « هاربر » وسألتها :

– هل قررت ابنتى « بيكى » النوم طول النهار ؟

– ابنتك « بيكى » ؟ . . ماذا تقصدين ؟

فأجابت السيدة « ثاتشر » وقد بدت عليها الدهشة :

– نعم ابنتى ، ألم تقض معكم الليلة الماضية ؟

– كلا ، لماذا ؟

ولم تحتمل السيدة « ثاتشر » الصدمة ، فجلست متهالكة . . . ولم تلبث أن وصلت الخالة « بولى » ، فقالت بدورها :

– صباح الخير ، لم يأت « توم » الليلة ، وأعتقد أنه قضى الليلة عندكم يا مسز « ثاتشر » !

لكن السيدة « ثاتشر » هزت رأسها بالنفى ، فى حين عادت السيدة

« هاربر » تسأل خالة الصبى ، فى شىء من القلق :

– تقولين إنه لم يعد إلى البيت فى الليلة الماضية ؟

وسألت الخالة « بولى » « جو هاربر » ، صديق « توم » :

– ألم تر « توم » هذا الصباح يا « جو » ؟

وبدأ القلق يتسرب إلى نفس الخالة « بولى » ، عندما رد عليها جو :

– كلا ياسيدتى !

فسألته :

– متى رأيت « توم » آخر مرة ؟

وحاول « جو » أن يتذكر متى رأى « توم » لآخر مرة ، ولكنه لم يكن متأكداً . وأخذت الخالة « بولى » تسأل الأطفال الذين اشتركوا فى الرحلة طفلا طفلا ، ثم سألت المدرسين ، ولكنهم جميعاً أكدوا أنهم لم يروا « توم » و « بيكى » فى الزورق البخارى فى طريق العودة من الرحلة !

وأخيراً صرح أحد الأطفال بأن « توم » و « بيكى » لا يزالان فى الكهف ، فأغمى على المسز « ثاتشر » ، وأخذ الخالة « بولى » تبكى ، وتلوح بيديها فى عصبية . وانتقل الخبر المثير من منزل إلى منزل ، ومن جماعة إلى جماعة ، ومن شارع إلى شارع ! . . . وبعد خمس دقائق كانت الأجراس كلها تدق فى قوة وعنف ، واستيقظت البلدة كلها !

ونسى الناس أمر اللصين . وأسرجت الخيول ، وأعد الزورق البخارى للإبحار فى أقل من نصف ساعة ، وانطلق أكثر من مائتى شخص فى طريقهم إلى الغابة !

وبدت القرية بعد ظهر ذلك اليوم وكأنها خالية من السكان . . . وفى الليل ظل الناس ساهرين فى انتظار الأخبار . ولكن عندما أشرق الصباح ، كانت الجملة الوحيدة التى وصلت إلى القرية من أهلها الذين يواصلون البحث فى الغابة ، هى :

— أرسلوا مزيداً من الشمع ، والطعام !

وعند الظهر بدأت بعض الجماعات تعود إلى القرية . وقالوا إن أجزاء من الكهف — لم يزرها أحد من قبل — قد فتشت . وفى أحد أركان الكهف رأى الباحثون آثار اسمى « بيكى » و « توم » محفورة على جدار صخرى علق به هباب دخان الشمع . وقال آخرون إنهم كانوا يلمحون ضوءاً يلمع من بعيد فى بعض الأحيان ، ولكن كان يتضح بعد ذلك أنه ضوء فرقة أخرى من الباحثين ، فتحل خيبة الأمل محل الأمل والرجاء !

وكادت السيدة « ثاتشر » أن تفقد صوابها ، وكاد يحدث ذلك للخالة « بولى » أيضًا .

ومرت على القرية ثلاث ليال مخيفة ، أحس الجميع بعدها أنهم فقدوا كل أمل ، كما فقدوا الحماسة والقوة اللازمتين للبحث !



١٢

ولكن ، ماذا حدث لـ « توم » و « بيكى » ؟

لقد وصلا مع غيرهم من الأولاد والبنات إلى الكهف ، وزارا معهم الأماكن المألوفة ، والأشياء الغريبة . وبعد أن سئما مثل هذه المشاهد ، انفصلا عن باقى الجماعة ، وسارا فى طريق متعرج ، وهما يمسكان الشموع الموقدة ، ويقرآن الأسماء والتواريخ والعناوين المكتوبة بسواد الدخان ، على الجدران الصخرية . . .

وهكذا واصل « توم » و « بيكى » سيرهما من غير أن يلحظا أنهما أصبحا فى جزء مهجور من الكهف ! . . . وتحت نتوء صخرى بارز كتبا اسميهما بسواد الدخان (السناج) ، ثم واصلا سيرهما . وبعد ذلك لمح « توم » سلماً طبيعياً شديد الانحدار ، بين جدارين ضيقين ، وفى الحال تملكته رغبة فى أن يدخل فى عداد « المستكشفين » . . . وسرعان ما أقنع « بيكى » بالانضمام إليه فى مغامرته ، فتركا علامة بسواد الدخان خلفهما — كى يهتدى بها من يأتى فى أثرهما — ونزلا السلم .

وسلكا الطرق الملتوية بعيداً فى أعماق الكهف ، ثم تركا علامة أخرى . . . واستمرا ينتقلان من مغارة إلى مغارة ، حتى وجدا نفسيهما أخيراً بجانب نبع صغير ، فى خجرة صخرية واسعة . ومن سقف الغرفة تدلت الخفافيش المعلقة من أرجلها ، وبدأت المئات منها تهبط ، وهى تزقزق محومة حول ضوء الشمع المتراقص . وأدرك « توم » أنهما أصبحا فى خطر ، فقبض على ذراع « بيكى » واقتادها إلى أقرب دهليز ليحتميا فيه ، وفى نفس اللحظة خبط خفاش الشمعة بجناحيه ، فانطفأت الشمعة !

وطاردت الخفافيش الصديقين مسافة طويلة ، فأخذا يجريان . حتى وجد « توم » بركة تحت الأرض ، أراد النزول فيها . . . ولكن « بيكى » كانت متعبة ، فجلسا بجوار البركة يستريحان .

وعندئذ ، ولأول مرة ، ثقل السكون والشعور بالوحدة على الصديقين ، فقالت « بيكى » :

— يحسن أن نبدأ فى العودة إلى الخارج . هل تستطيع معرفة الطريق يا « توم » ؟ يبدو لى أن كل الطرق متشابهة ومتشابكة !

وبدأ الاثنان رحلة العودة فى صمت . . . فسارا فى أحد الدهاليز وهما يبحثان عن معالم الطريق التى سلكاها فى رحلة الدخول ، ولكن بلا جدوى ! . . . فأخذ الخوف يتسرب إلى قلب « توم » ، واقتربت « بيكى » منه فى انزعاج ، فقد استطاعت أن تدرك من تصرفاته أنه لا يعرف الطريق إلى خارج الكهف ! . . . فقالت :

— إنك لم تترك علامات للطريق يا «توم » !

فقال لها :

— لقد كنت غبياً ، غبياً للغاية يا « بيكى » . فلم أفكر فى طريقة العودة . والحقيقة أننى الآن لا أستطيع معرفة الطريق ، فكل الطرق مختلطة أمامى !

فصاحت فى ذعر :

— لقد ضللنا الطريق إذن يا « توم » ! . . . ضللنا يا « توم » . . لن نخرج من هذا المكان المخيف مرة أخرى ، لماذا تركنا الآخرين ؟ لماذا ؟

وارتمت « بيكى » على الأرض ، وانفجرت فى نوبة من البكاء . . .

فأسرع « توم » يجلس بجوارها ، وأحاطها بذراعه ، متوسلا إليها ألا تستسلم لليأس بهذه السرعة ، وأن تتمسك بالأمل فى العودة . . . ثم بدأ يلوم نفسه ! . . . وكان لما فعله تأثير طيب ، فقالت له « بيكى » إنها ستحاول مواصلة السير . وهكذا تحركا من جديد ، على غير هدى . كل ما كانا يستطيعانه هو السير ، والسير دائمًا !

وبعد فترة من السير بلا هدف ، أخذ « توم » شمعة « بيكى » وأطفأها ! . . . وفهمت « بيكى » لماذا فعل ذلك ، فتبدد كل أمل عندها فى العودة ! لقد كانت تعلم أن « توم » لا يزال يحتفظ بثلاث شمعات أو أربع فى جيبه ، وما دام يريد الاقتصاد فى الشمع ، فمعنى هذا أن الأمل فى الخروج بعيد ! . . وأخيراً عجزت « بيكى » عن السير ، فقد تغلب التعب على الطفلة المسكينة ، فجلست على الأرض ، ولم تلبث أن غلبها النوم . . .

وحين استيقظت ، قال « توم » إنهما يجب أن يسيرا على مهل ، ويستمعا إلى قطرات الماء المتساقطة ، فقد يعثران على نبع . وسرعان ما عثرا عليه بالفعل ، وقال « توم » إنه قد حان الوقت للراحة ، فأخبرته « بيكى » أنها تستطيع السير مسافة أخرى ، ولكنها اندهشت عندما قال لها « توم » :

— كلا ! لن نسير أكثر من ذلك . . .

وجلسا بجوار النبع ، وثبّت « توم » الشمعة على الجدار المقابل لهما ، بشيء من الطين . . . وقالت « بيكى » :

— أنا جائعة جدا يا « توم » .

وأخرج « توم » من جيبه قطعة من الكعك كانت « بيكى » قد احتفظت بها من طعام الرحلة ، وقسم القطعة . . . فأكلت « بيكى » قطعتها فى سرعة ، ولكن « توم » أخذ يقضم قطعته فى بطء شديد ! . . . وكانت « بيكى » تقترح من وقت لآخر أن يستأنفا السير . . . لكن « توم » لزم الصمت فترة من الوقت ، ثم قال آخر الأمر :

— يا « بيكى » ، هل يمكنك تحمل ما سوف أقوله لك ؟ يجب أن نبقى هنا حيث يوجد ماء لنشرب ، فهذه الشمعة هى آخر شمعة معنا !

واستسلمت « بيكى » للبكاء والنحيب . . . وأخيراً قالت :

— لا بد أنهم سيبحثون عنا يا « توم » !

فأجابها « توم » :

— طبعًا ، بكل تأكيد .

وثبّت الصغيران أعينهما على الشمعة الوحيدة التى بقيت لهما ، وهما يريانها تذوب شيئًا فشيئًا . . . وظلا يراقبانها حتى تلاشت تمامًا ، ثم احتواهما الظلام المخيف !

* * *

لم يعرف أحدهما كم من الوقت مضى عليهما وسط هذا الظلام . . . وبدا لهما الوقت كأنه لا نهاية له ، وكأنهما استيقظا من نوم طويل ليقاسيا الآلام الهائلة : آلام الوحدة ، والخوف ، والشعور بالضياع ، وفقدان الأمل فى النجاة أو الحياة !

ولم يعرفا بالضبط فى أى يوم أصبحا . . . وقال « توم » إن اليوم ربما كان الأحد ، وربما كان الاثنين ، أو الثلاثاء ، وإن البحث عنهما لا بد أنه مستمر . . . وإذا صاح ، فلا بد أن يسمعه أحد !

وصاح بأعلى صوته ! . . . ولكن الصدى الذى تجاوبت به جدران الكهف كان فظيعًا . . . فكفّ عن الصياح ، ولم يحاوله مرة أخرى !

ومرت الساعات ، بلا نهاية ! . . . وكان « توم » قد احتفظ بقطعة صغيرة من الكعك ، فتقاسمها مع « بيكى » ، وأكلاها . ولكنهما شعرا أنهما أصبحا أشدّ جوعًا من ذى قبل !

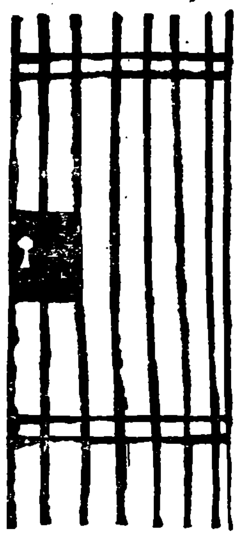
وهنا خطرت « لتوم » فكرة : كان يعرف أن هناك ممرات جانبية قريبة منهما ، وأن من الأفضل استكشافها ، بدلا من التكاسل . . . فأخرج من جيبه خيط طيارة ، وربط طرفه فى نتوء ، وتناول هو و« بيكى الطرف الآخر ، وسارا : « توم » فى المقدمة يتحسس الطريق ، و « بيكى» وراءه . . . وبعد حوالى عشرين خطوة ، انتهى الممر بمكان خال ، فركع « توم » على ركبتيه ، وأخذ يتحسس ما حوله ، بقدر ما يستطيع . . وفجأة ، وعلى بعد عشرين متراً ، برزت يد إنسان من وراء صخرة ،

وهى تمسك شمعة موقدة ! . . وصاح « توم » صيحة الظفر ، وفى الحال تبع اليد جسم صاحبها ، الذى لم يكن سوى : « أنجون جو » !

وشل الولد ، وعجز عن الحركة . ولكن لحسن الحظ ، استدار « أنجون » واختفى عن الأنظار ! . . . وسأل « توم » نفسه عما إذا كان « أنجون جو » قد عرف صوته عندما صاح ؟ ولكن لا بد أن أصداء الصيحة داخل الكهف قد أخفت صوته !

وأضعف الخوف كل عضلة فى جسم « توم » ، ولكن ذهنه ازداد تنبهًا ! . . وقرر « توم » أن يبقى بجانب النبع ، ولا يغامر بلقاء « أنجون جو » ثانية . وحرص على ألا يخبر « بيكى » بما رآه . وبتأثير الخوف ، والإرهاق ، غلبه النوم آخر الأمر . ثم نامت « بيكى » بدورها .. وبعد ليلة طويلة بجوار النبع ، استيقظ الصغيران ، وآلام الجوع الفظيع أقوى من احتمالهما . واقترح « توم » أن يستكشف ممرا آخر ، ولكن « بيكى » قالت إنها ستبقى حيث هى ، تنتظر الموت ، ولن يطول انتظارها إياه ! وقالت لـ « توم » إنه يستطيع أن يستكشف الممر وحده إذا شاء ، ولكنها توسلت إليه أن يعود من وقت لآخر ليتحدث معها .

وأظهر « توم » أنه لا يزال قوىّ الأمل فى النجاة . . . فأخذ الخيط ، وسار يتحسس طريقه فى ممر آخر ، وكان ألم الجوع يعذبه ، والشعور بدنو الأجل يسيطر عليه !



١٣

وفى تلك الأثناء كانت قرية « سانت بُتسبرج » لا تزال فى حداد على الصديقين المفقودين . . . والصلوات ترفع من أجلهما !

وجاء يوم الثلاثاء ، ولا يزال الاثنان مفقودين . . . فمرضت السيدة « ثاتشر » والدة « بيكى » ، وكاد شعر السيدة « بولى » خالة « توم » يبيض كله ، وخيم الحزن على سكان القرية .

وفى منتصف الليل ، دقت أجراس القرية ، وكانت قوية متتالية . وبعد لحظات ، امتلأت طرقات القرية بالناس وهم يتصايحون :

— افرحوا ! افرحوا ! لقد وجدناهما !

واندفعت الجماهير إلى النهر ، فالتقوا بالصغيرين « توم » و« بيكى » يركبان عربة مكشوفة ، يدفعها المواطنون الذين كانوا يصيحون صيحات الفرح والابتهاج ، وفى كل خطوة كان عدد من سكان القرية ينضم إلى الموكب ، وهو يسير فى اتجاه بيت الصغيرين ، مارا بالشارع الرئيسى ، والهتافات تتعالى معبرة عن الفرحة الكبرى بحياة الصغيرين .

* * *

ولم يذهب أحد إلى فراشه فى تلك الليلة ، فقد كانت أعظم ليلة مرت فى تاريخ القرية ! وفى خلال نصف الساعة الأولى تقاطر موكب من القرويين إلى بيت القاضى « ثاتشر » والد « بيكى » ، وكانت العربة قد وصلت إليه ، وكان القرويون يقبّلون الصغيرين ، ويهزّون يد السيدة « ثاتشر » مهنّئين ، ثم يخرجون وعلى وجوههم دموع الفرح ، ويُخْلُون المكان لغيرهم من المهنئين . وكان أحد الأشخاص قد أسرع إلى الكهف ليزفّ البشرى الكبرى إلى القاضى الذى كان يتتبع بنفسه محاولات البحث عن المفقودين داخل الكهف .

أما الخالة « بولى » فقد كانت سعادتها بعودة « توم » سالمًا ،



لا توصف! .. واسترخى « توم » على كنبة مريحة ، وحوله جمهور يتطلع إليه في شغف واهتمام ، وهو يروى قصته : كيف ترك « بيكى » ، وذهب ليستكشف ممرات الكهف ... وكيف أنه سار فى ممرين، ثم فى ثالث ، وكان على وشك أن يرجع من حيث أتى . . عندما لمح من بعيد ضوءاً يبدو كأنه ضوء النهار . فألقى بالخيط ، وأسرع فى اتجاهه ، فرأى الضوء يأتى من فتحة ضيقة، أخرج منها رأسه وكتفيه ، فرأى نهر « المسيسبى » العريض يجرى تحته !

وقص كيف أنه عاد مسرعًا إلى « بيكى » ، وأبلغها باكتشافه ...

وكيف أنها لم تصدقه فى أول الأمر ، ثم كيف كاد يُغمى عليها من شدة الفرح عندما تأكدت من صدق كلامه ! . . . وكيف أنهما وجدا بعض الناس فى قارب صغير ، وأن هؤلاء الناس لم يصدقوا القصة — غير المعقولة — فى أول الأمر ، قائلين لهما : إنكما على بعد خمسة أميال من الوادى الذى فيه الكهف !

ولم يكن من السهل التخلص من آثار التعب والجوع اللذين عاناهما الصغيران فى الكهف . ولم تكف ثلاثة أيام للتخلص من هذه الآثار ، فظل « توم » و « بيكى » فى فراشيهما طوال يومى الأربعاء والخميس . وفى يوم السبت كان « توم » قد استرد عافيته تماماً ، ولكن « بيكى » لم تغادر الفراش حتى يوم الأحد . . . وحتى بعد هذا بدت كأنها فى دور النقاهة من مرض طويل !

وكان أول خاطر خطر لـ « توم » أن يذهب للبحث عن « هوكى » ، الذى وقع فريسة للمرض بعد مغامرة « تل كارديف » ، فأشرفت على تمريضه السيدة « دوجلاس » ، التى كاد المجرمان يقتلانها فى تلك الليلة . ولما حضر « توم » لأول مرة رفضت السيدة « دوجلاس » أن تسمح له بالدخول إلى غرفة « هوكى » ، ولكنها فى المرة التالية سمحت له بالدخول ، غير أنها طلبت منه ألا يبادله الحديث فى أى شىء مثير للأعصاب !

* * *

وبعد حوالى أسبوعين من حادث الكهف ، كان « توم » فى طريقه لزيارة « هوكى » ، ومر ببيت « بيكى » ، فدخل لزيارتها . . . وكان القاضى « ثاتشر » فى البيت ، فقال لـ « توم » :

– اطمئن « يا توم » . لن يضل أحد فى الكهف بعد الآن ، فقد أمرت بسدّ مدخل الكهف بباب حديدى منذ أسبوعين ، ومعى مفاتيح هذا الباب !

وعند سماع هذا الكلام ، ابيض وجه « توم » وصاح :

– ياه ! ولكن « أنجون جو » يختبئ فى داخل هذا الكهف !

وبعد دقائق معدودات ذاع الخبر ، وركب اثنا عشر رجلا زورقًا واتجهوا إلى الكهف . وعندما فتحوا الباب الضخم ، رأى الجميع منظراً فظيعًا !

رأوا « أنجون جو » ممدداً على الأرض ، ووجهه قريب من شق الباب ، وخنجره ملقى بجانبه ، مكسوراً ! . . . ووجدوا حفرة تحت الباب ، وكان من الواضح أن المجرم حاول حفر منفذ يخرج منه ، ولكن محاولته أخفقت ، لأن الصخر كان أقوى من خنجره ، فمات من الجوع !

ولما ذهب « توم » لزيارة « هوكى » ، كان « هوكى » قد علم بمغامرة الكهف ، وموت « أنجون جو » . وجلس الصديقان يفكران فى المكان الذى يحتمل أن يكون المجرم قد أخفى كنزه فيه . وفجأة قال « توم » :

– أعتقد أن الكنز موجود فى الكهف يا « هوكى » !

فلمعت عينا « هوكى » ، وسأل « توم » :

– هل أنت جاد فى البحث عن الكنز يا « توم » ؟

– طبعًا يا « هوكى » ! . . تعال معى ، فإذا لم نعثر على الكنز أعطيتك طبلتى ، وكل شيء أملكه فى هذه الدنيا . وسأفى بوعدى ! والآن هل أنت مستعد لهذه المغامرة ؟

وأجاب « هوكى » فى ارتياب :

– هل المسافة بعيدة ؟ إنى لا أستطيع السير أكثر من ميل واحد . بل إننى فى الحقيقة لا أقوى حتى على ذلك يا « توم » .

– إن المسافة لا تقل عن خمسة أميال ، ولا أحد غيرى يعرف المكان الذى أخفى فيه « أنجون جو » الكنز يا « هوكى » ، ولكن هناك طريقًا مختصراً لا يعرفه سواى ، وسآخذك إليه فى زورق !

– إذن هيا نبدأ من الآن يا « توم » !

* * *

وبعد الظهر بقليل استعار الولدان زورقًا صغيراً ، وانحدرا به فى نهر « المسيسبى » . وبعد بضعة أميال أصبحا تحت تجويف الكهف ، وقال « توم » :

– هذه البقعة البيضاء على الصخرة هى علامتى ، سنرسى القارب هنا .

وأرسى الصديقان قاربهما ، ودخلا الكهف ، وشقا طريقهما حتى نهاية النفق . وبعد خطوات وصلا إلى النبع ، وانتابت « توم » قشعريرة عندما أشار لـ « هوكى » إلى آثار الشمعة التى ثبتها هو و « بيكى » على جدران الكهف ، قبل نجاتهما ! وبعد قليل وصلا إلى المكان الذى التقى فيه « توم » بـ « أنجون جو » ، وكان عبارة عن تل رملى يصل ارتفاعه إلى عشرين أو ثلاثين متراً . وقال « توم » :

— والآن سأريك شيئاً يا « هوكى » !

ورفع شمعته ، وقال :

— انظر إلى أبعد ما تستطيع ، هل ترى العلامة المرسومة على الصخر بسواد الدخان ؟

فأجابه « هوكى » :

— إنها علامة صليب يا « توم » !

قال « توم » :

— والآن هل ترى رقم ٢ ؟ إنه تحت العلامة ، تحتها تماماً ، فى المكان نفسه الذى رأيت فيه « أنجون جو » يضع شمعته . هيا نهبط يا « هوكى » لنبحث عن الصندوق .

وهبط « توم » فى المقدمة ، وتبعه « هوكى » ، وفى أسفل التل بدت أربعة ممرات تؤدى إلى داخل الكهف الصغير الذى قام التل

أمامه . وفحص الولدان ثلاثة منها ، ولكن من غير نتيجة . وقال « توم » :

— لقد قال إن الكنز تحت الصليب ، لا بد أن يكون الصندوق قريبًا من الصليب ، ومن المستحيل أن يكون الصندوق تحت الصخرة لأنها ثابتة على الأرض .

وأخذ الولدان يبحثان فى كل مكان مرة أخرى ، وبعد فترة من الوقت قال « توم » :

— انظر هنا يا « هوكى » ! . . هذه آثار أقدام ، وهذه آثار شمعة فى الجانب الآخر من الصخرة ، أراهن أن الكنز مدفون تحت الصخرة ، إننى سأحفر تحتها !

وأخرج « توم » سكينًا فى الحال ، ولم يحفر أكثر من عشرة سنتيمترات حتى اصطدمت السكين بجسم خشبى . وأزال الولدان ما وجداه من ألواح خشبية ، فظهرت فتحة طبيعية تحت الصخر . ودخل « توم » من الفتحة فوجد نفسه فى نفق متعرج ، سار فيه ، و « هوكى » فى أثره ، وفجأة صاح « توم » :

— ياه ! انظر يا « هوكى » !

وعلى بعد خطوات كان أمامهما صندوق الكنز ، فأسرعا إليه ، وفتحاه . . وأخذ « هوكى » يغرف النقود الذهبية بيديه ، ويقول :

– لقد أصبحنا من الأغنياء يا « توم » !

فيرد عليه « توم » فى مثل حماسته :

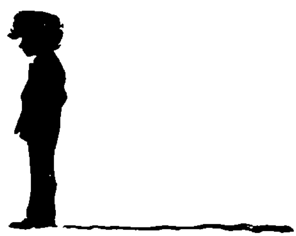
– إننى كنت واثقاً دائماً أننا سنصبح من الأغنياء فى يوم من الأيام يا « هوكى » !

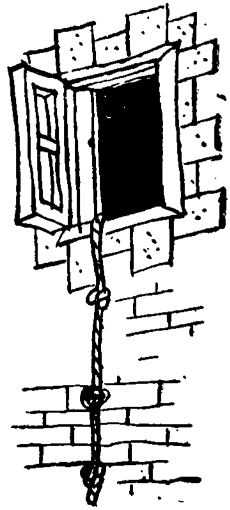
وحاول « توم » رفع الصندوق ، ولكنه كان ثقيلا ، فتركه حيث هو ، وقال :

– لقد كنت على حق عندما أحضرت هذه الأكياس الصغيرة معى .



وسرعان ما أفرغ الولدان النقود من الصندوق، ووضعاها فى الأكياس. وبعد قليل خرجا من الكهف ، ونظرا حواليهما ، فرأيا المكان خاليًا ، فركبا القارب ، وراحا يجذفان متجهين نحو الشاطئ . . .





١٤

لم يصل الصبيان إلى الشاطئ الآخر إلاّ بعد أن حل المساء . . . فقال « توم » :

– والآن يا « هوكى » ، هيا نخبئ النقود فى حظيرة السيدة « دوجلاس » ، ثم نعدّها ونقتسمها فيما بيننا . وعليك أنت بالانتظار هنا وحراسة النقود ، إلى أن أذهب وأحضر عربة « بنى تيلور » الصغيرة .

واختفى « توم » ، وظهر بعد قليل ومعه

العربة . فوضعا الأكياس عليها ، وغطياها بالخرق البالية ، وسارا ، وكان « توم » يجر العربة خلفه . وعندما وصل الولدان إلى منزل « ويلشمان » توقفا لينالا شيئًا من الراحة . وعندما همّا باستئناف السير ، خرج « ويلشمان » من البيت ، وصاح :

– من هناك ؟

فجاءه الرد :

– « هوكى » و « توم سوير » !

فصاح الرجل :

– تعاليا معى ، إنكما تجعلان الجميع ينتظرون ، هيَّا أسرعا أمامى وأنا أتولى العربة بدلا منكما . ماذا أرى فيها ؟ طوب ؟

فقال « توم » :

– بل معدن قديم .

فتساءل « ويلشمان » :

– معدن قديم ! هذا ما توقعته ، فأولاد هذه القرية يضيعون وقتهم فى البحث عن أشياء قديمة لا تساوى ملاليم ، ولو أنهم انتظموا فى عمل لكسبوا مالا وفيراً . ولكن هذه طبيعة البشر . هيَّا ، أسرعا !

فسأله « هوكى » :

– لماذا الإسراع يا سيد « ويلشمان » ؟

فأجابه :



— ستعلم السبب عندما تدخل بيت السيدة « دوجلاس » !

وبعد دقائق وجد الولدان نفسيهما قد أدخلا غرفة الاستقبال فى بيت السيدة « دوجلاس » ، فى حين تركت العربة بالقرب من الباب . وكانت الغرفة مضاءة ، وفيها عدد من أهل القرية البارزين . وتلوّن وجه الخالة « بولى » بحمرة الخجل ، وهى ترى ملابس « توم » يغطيها الوحل !

وقال « ويلشمان » :

— لم يرجع « توم » إلى البيت ، وكدت أستسلم لليأس حتى عثرت عليه هو و « هوكى » أمام باب بيتى ، فأحضرتهما بسرعة .

فقالت السيدة « دوجلاس » :

— حسنًا فعلت يا سيد « ويلشمان » . تعاليا معى أيها الولدان !

وأخذتهما السيدة « دوجلاس » إلى الحمّام ، وقالت :

— اغتسلا ، وقد أحضرت لكما ملابس جديدة فالبساها ، وهى ملابس خاصة « بهوكى » ، ولكنها تناسبك أنت أيضًا يا « توم » ، وبعد أن تفرغا من اللبس ، انزلا إلى المجتمعين فى أسفل .

وبعد أن غادرتهما السيدة « دوجلاس » ، قال « هوكى » :

— اسمع يا « توم » ، إننا نستطيع الهبوط من هذه النافذة إلى الطريق إذا عثرت على حبل .

فسأله « توم » :

— ولماذا تريد الهرب ؟

فأجابه :

— إننى لم أتعود مثل هذه الحفلات . إننى لن أنزل إليهم فى أسفل يا « توم » .

فقال « توم » :

— لا تبالغ فى شعورك يا « هوكى » ، وسأكون بجانبك .

وظهر « سدى » ، وقال :

— لقد كانت خالتى فى انتظارك بعد الظهر يا « توم » ، وقد أعدت لك « مارى » ملابس يوم الأحد ، وكان الجميع يسألون عنك . قل لى ما الذى لطخ ملابسك بالوحل ، وبقايا الشمع ؟

وقاطعه « توم » متسائلا :

— لماذا أقيمت هذه الحفلة ؟

فرد عليه « سدى » :

— إنها حفلة تقيمها السيدة « دوجلاس » تكريمًا « لجونز ويلشمان » وولديه . ولقد سمعتها تهمس فى أذن خالتى أنها ستذيع سرًّا هامًّا على الناس هذه الليلة ، ولكننى أعتقد أن الجميع يعرفون هذا السر ، وهو أن « هوكى » هو الذى اقتفى أثر اللصين إلى بيتها !



١٥

وبعد دقائق كان ضيوف السيدة « دوجلاس» قد أخذوا أماكنهم حول مائدة الطعام . وقام السيد « جونز » فألقى خطاباً شكر فيه السيدة « دوجلاس » من أجل الشرف. الذى أسبغته عليه وعلى ولديه ، ثم كشف سر الدور الذى قام به « هوكى » فى مغامرة اللصين . وتظاهرت السيدة « دوجلاس » بالدهشة ، وأمطرت « هوكى » بتحياتها ، مما جعله ينسى ضيقه من الحفلة ،

ومن ملابسه الجديدة ، ومن نظرات الحاضرين التى أحاطت به .

واشترك الحاضرون جميعًا مع السيدة « دوجلاس » فى الثناء على « هوكى » . وقالت السيدة إنها تنوى دعوة « هوكى » إلى الإقامة معها فى بيتها ، وتعليمه وإعداده للعمل فى المستقبل ، وسوف تقتصد له قدراً من المال .

وجاء دور « توم » ، فقال :

— إن « هوكى » ليس فى حاجة إلى المال ، فهو غنى !

وكان من الصعب على الحاضرين أن يكتموا ضحكهم على ما بدا فكاهة من جانب « توم » !

وساد صمت غريب ، ثم استأنف « توم » :

— إن « هوكى » يملك المال فعلا . ربما لا تصدقون هذا ، ولكن الحقيقة أنه يملك قدراً كبيراً من المال . لا تبتسموا ، فأنا مستعد أن أكشف لكم السر . انتظروا لحظات !

وخرج « توم » ، فى حين كان الجميع ينظرون إلى « هوكى » نظرات استفسار ، أما هو فقد لزم الصمت !

وقالت الخالة « بولى » :

— اسمع يا « سدى » . ماذا جرى « لتوم » ؟ لا فائدة من إصلاح هذا الولد !

ودخل « توم » وهو يحمل أكياسه الثقيلة ، وأفرغ القطع الذهبية على المائدة أمام « هوكى » :

— هذا ما كنت أقصده : نصفه لـ « هوكى » ، ونصفه لى !

وحملق الحاضرون فى الذهب بعيون جاحظة من الدهشة ، ولم ينطق أحد بكلمة بضع لحظات ، ثم انفجر الجميع يسألون عن سر الكنز !

وشرح « توم » للحاضرين قصة العثور على هذا الكنز . . . وأحصيت النقود الذهبية ، فبلغت حوالى اثنى عشر ألف دولار ، وهو مبلغ كبير لم ير أحد من الحاضرين مثله فى حياته !

ووضعت السيدة « دوجلاس » نصيب « هوكى » من الكنز فى البنك بفائدة قدرها ٦٪ ، ووضع القاضى « ثاتشر » نصيب « توم » بالشروط نفسها كطلب الخالة « بولى » ، فأصبح ينتظر أن يحصل كل ولد منهما على دخل محترم فى السنة !

* * *

ومنذ ذلك الوقت أصبح الجميع يرحّبون بصحبة « هوكى » ، بعد أن صار من الأغنياء ، وبعد أن ذهب ليعيش مع السيدة « دوجلاس » ! . . ولكن متاعبه زادت أكثر مما يحتمل : فقد أصبح مضطرًا إلى تناول طعامه مستخدمًا الشوكة والسكين ، والفوطة ، والكوب ، والطبق ، وأن يقرأ الكتب ليتعلم . . . إلخ .



واحتمل « هوكى » كل هذا العذاب ثلاثة أسابيع ، وبعدها اختفى الولد تماماً . وظلت السيدة « دوجلاس » تبحث عنه فى كل مكان أسبوعين كاملين ، ولكن بدون جدوى !

واشترك معها فى البحث عدد كبير من سكان القرية .

وفى ساعة مبكرة من صباح أحد الأيام ، ذهب « توم » يبحث بين البراميل الفارغة خلف المذبح القديم ، وفى برميل منها عثر على « هوكى » الهارب ! .. وكان مرتدياً أسماله القديمة التى كان يرتديها أيام كان حراً طليقاً سعيداً !

وعندما رجاه « توم » أن يعود إلى بيت السيدة « دوجلاس » ، قال له « هوكى » :

– أرجوك ألا تكلمنى فى هذا الموضوع . صحيح أن السيدة « دوجلاس » كريمة معى ، ولكننى لا أستطيع تحمل أسلوب حياتهم ، فهى تجعلنى أغتسل وأمشط شعرى ، وأرتدى الملابس التى تضايقنى ، وارتدى الحذاء طول يوم الأحد . وهم يأكلون بميعاد ، وينامون بميعاد ، ويستيقظون بميعاد ، وكل شىء له ميعاد ، وهذا ما لا أستطيع احتماله !

فقال له « توم » :

– ولكن ، كل الناس يخضعون لهذا النظام يا « هوكى » !

– ولكننى لست ككل الناس يا « توم » ! لن أستطيع تحمل هذه الحياة ، ففى كل مرة أريد صيد السمك أو الاستحمام فى البركة ، لا بد أن آخذ إذناً ، ولا بد من الاستئذان لعمل أى شىء ! والسيدة « دوجلاس » تمنعنى من الصياح ، ومن التمدد فى العراء . . . كل هذا بالإضافة إلى المدرسة والكتب . اسمع يا « توم » : إننى لا أهتم بأن أكون غنياً ، فهذه الملابس البالية تعجبنى ، وهذا البرميل يكفينى ، وهذه الحياة الحرة الطليقة تسعدنى ، ولن أغير حياتى هذه مطلقاً يا « توم » . اذهب وأبلغ السيدة « دوجلاس » هذه الحقيقة ، قل لها إن « هوكى » لايريد أن يكون غنياً ، ولايريد أن يعيش فى المنازل . . فإننى أحب الغابة ، والنهر ، والبراميل ، ولن أتحول عن حبها !

فقال « توم » :

– اسمع يا « هوكى » ، ألا تريد أن تنضم إلى النادى الذى سأقيمه ؟ إننى سأشرع فى تكوين ناد يجمع أحسن أولاد القرية !

– حقًّا يا « توم » ؟

– طبعًا ، ولكن لن نستطيع ضمك إلى هذا النادى ما لم يكن مظهرك محترمًا .

وتكدّر « هوكى » ، وقال :

– كيف لا تسمح لى بالانضمام إلى ناديك ، وقد اشتركنا معًا فى مغامرات كثيرة ؟

– ولكن الأمر يختلف يا « هوكى » ، فهذا النادى سيكون له اسم محترم بين الناس . كل الناس سيتكلمون عن « نادى توم سوير » ، فهل ترضى أن يقال إن النادى يضم المتشردين ؟

وصمت « هوكى » لحظة ، وأخيراً قال :

– حسناً يا « توم » . سأعود إلى بيت السيدة دوجلاس إذا سمحت لى بالانضمام إلى النادى !

– مدهش يا « هوكى » ، وإنا سأطلب من السيدة أن تمنحك شيئًا من الحرية .

– ومتى ستبدأ تكوين أعضاء النادى ؟

– الليلة سأدعو الأولاد إلى اجتماع لحلف اليمين ، واحترام شعار

النادى : سنقسم على أن يقف كل واحد إلى جانب زميله ، وأن يحافظ على أسرار النادى ، وينتقم من كل من يعتدى على أى فرد فيه .

— هذا رائع يا « توم » ! ! وأين يكون الاجتماع ؟

— سيكون فى البيت المسكون ، فى منتصف الليلة !

— هذا رائع ، رائع جداً يا « توم » ! .. إننى سأقيم فى بيت السيدة « دوجلاس » إقامة دائمة ، حتى أكون عضواً منتظماً فى هذا النادى الذى سوف يتحدث عنه كل الناس . وأعتقد أن السيدة « دوجلاس » ستكون فخورة بى . .

(تمت)

رقم الإيداع		١٩٩١ / ٢٨٦٧
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3204 - 1	ISBN

١ / ٩١ / ١٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



أولادنا

مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام

ظهر منها :

١ - عمرون شاه
٢ - مملكة السحر
٣ - كريم الدين البغدادى
٤ - آلة الزمن
٥ - الأمير والفقير
٦ - كتاب الأدغال
٧ - بينوكيو
٨ - نبوءة المنجم
٩ - روبن هود
١٠- دون كيشوت
١١- ايفنهـــو
١٢- جزيرة الكنز
١٣- كنوز الملك سليمان
١٤- سجين زندا
١٥- الزنبقة السوداء
١٦- مون فليت
١٧- مقبرة الأفيال
١٨- الربان بلود
١٩- تيودورا
٢٠- أوليفرتويست
٢١- دافيد كوبر فيلد
٢٢- فى مهب الريح
٢٣- الفخ الذهبى
٢٤- عودة المحارب
٢٥- حصان طروادة
٢٦- نساء صغيرات
٢٧- توم سوير
٢٨- الأربعة الــذين سرقوا الزمن
٢٩- الربان الجرىء
٣٠- العم نعناع
٣١- أم حنان

٢١٢٥٩٦/٠٤

ص
٢٥٠